العدل الإلهي

وأين أثره في المخلوقات

تأليف

حسن حسين

الطبعة الأولى

١٣٤٨

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

١٩٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

« ما كل ما يعرف يقال ولا كل ما يقال جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه حضر أهله » (الامام علي)

« ليس في العالم شيء هو خير بذاته، ولا شيء هو شر بذاته ، بل بالوضع وقد ينقلب الخير شراً والشر خيراً ، فلا تكون هنالك حقيقته (ارسطو)

(فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

قرآن كريم

مثل هذا الوجود . كما يتصوره الملاحدة والماديون . أصحاب الرأي القائل (ان هي الا ارحام تدفع وارض تبلع) كمثل كتاب نفيس لمؤلف عبقري جليل . قدم له بمقدمة غاية في الابداع والامتاع ، فاذا ما قرأتها وفرغت منها ، ثم حاولت الاستئناس بما في الكتاب من قيم الفكر وصائب الآراء ، لم تجد شيئاً ، أجل لو كانت الحياة تنتهي بأبدال ظلمة الرمس ، بنور الشمس ، وتنقضي بانقضاء مرحلة الشقاء التي يقضيها المخلوق على هذه الارض جبراً ، فلا رأي له ولا اختيار في وجوده وحياته واجله ورزقه ، لو كانت هذه هي كل ما من اجله نظم هذا الكون بهذا النظام البديع ، حتى أصبح وليس فى الامكان ابدع مما كان ، اذن لكان هذا الوجود على ما يتصوره هؤلاء القوم ، ليس مساغاً ولا معقولا ، وإذن لاستعصى على الافهام ان تسيغه وعلى العقول ان تستمرئه . فكان هباء في هباء

البله — بله العلماء — لا يقدمون على اذاعة مصنف ، ونشر مؤلف ، في

الناس كله مقدمة بلا نتيجة — اذن فالمفهوم والمعقول ان تكون النتيجة .لا على قدر المقدمة فحسب، بل أهم وأعظم —واذن فما نراه ، وما نسمع به ، وما يقع عليه نظرنا في هذا الوجود العجيب المدهش، اذن فكل ذلك ليس شيئاً مذكوراً الى جانب النتيجة وهي كل ما في الموضوع ، واذن فالذي يصح في الافهام — ان تكون هناك حياة ارقى وأعظم وأهم وابقى من هذه الحياة الدنيا .

واذا كانت العلل لوغاربمات المعلولات ، وكان كل ما في المصنوع من اقناع ، وابداع،واتقان وتفوق — انما يدل على ما في الصانع من حكمة وتفوق ومقدرة وعلم — كان لا بد لهذا الوجود العظيم ـ المنظم المتقن ـ من صانع حكيم عليم يفوق عقول البشر ومقدراتهم فؤوقاً لا حد له

اثبات وجود الله

وما نحن بقادرين على ان نبلغ غاية نشداتنا في هذا الموضوع ـ وانما نحن نحاول محاولة ان نقرب الى أفهام بعض الراغبين ـ صورة قد يأنسون لها ، وينتفعون بها ، في جدلهم وردهم على المبطلين ـ نقول : وانه ليستحيل على المرء إدراك « الذات » الالـهية ـ بعقله الضعيف الكليل الذي غره فصار يزعم انه يهيمن به على كل ما في الوجود ـ وعتا عتواً كبيراً .

والحق : اننا بحاجة الى حاسة أخرى ليست لنا الآن ولا نبلغها الا بعد ان يبلغ روحنا درجة النقاء من غواشي المادة وما علق بها من خلق وصفات مكتسبة .

نقول : وانما نحن نستطيع ان نستدل على صفات ضرورية في الله جل شأنه ـ من مقدمة برهان وجود ـ الواجب الوجود ـ مطلقاً، ويجب ان تكون هذه الصفات القدسية او الكمالات ـ محور الدائرة في كل دين من الاديان

« اعرف نفسك بنفسك »

جملة سطرت على هيكل دلفيس فلاكتها السنة حكماء اليونان قديماً ـ فهل عرفنا أنفسنا ـ ومن عرف نفسه فقد عرف كل شيء؟

« وماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه »

هذا ما يقوله الانجيل ـ ونحن نقبل على كل شيء ونلهو بذلك عن أنفسنا فنضيع كل شيء .

« وفي انفسكم افلا تبصرون »

الآية القرآنية الشريفة ـ ولكننا لم نفكر في أنفسنا ولا نزعنا الى تعرف ما في خلقنا من غرائب وعجائب، أنا لاأريد تدليلا ، ولا أبغي برهنة على وجود « الواجب الوجود » ولكني أدل الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر على طريقة سهلة نافعة قد تؤدي بهم الى الايمان من غير عناء ولا كد .

اندمج في حسك وأنس الى نفسك ، بعيداً عن كل ضوضاء او خيلاء ، في وحدة وسكون ـ هناك وانت منسجم مستسلم ـ تشعر بميل غريزي يجتذبك نحو الحق ـ وتحس بأنه يحقق لك وجوده دون حاجة الى تدليل اوبرهنة .

أمثال نضربها

(١) هبك سائراً في صحراء قحلاء ـ فصادفت ساعة منمقة مضبوطة تعينك على معرفة الوقت وضبط مواعيدك . الا تستدل من وجود الساعة على انه لابد ان يكون قد مر بهذه الصحراء انسان من غير سكانها وانه متمدين ؟ الا تحكم على التو بأن هذه الساعة من صنع صانع لم تره ولم تعرفه ، وان هذا الصانع عاقل ـ ومدبر وذو دراية بصنعته ؟

(٢) اذا رأيت طائراً يحلق في الجو أصابته رمية فجندلته والقته صريعاً وهو على حاله هذه ، الا تحكم للحال بأنه لا بد ان يكون هناك صياد ماهر عاقل ذو قدرة وعلم ـ الا تحكم بكل هذا ولو لم تر ذلك الصياد ؟

(٣) اذا رأيت آلة بديعة الصنع، متقنة محكمة غاية في الابداع ـ هل يقع بخاطرك وانت تراها على هذه الصورة انها ـ انما صنعت مصادفة وابدعتها الظروف الطارئة

(٤) اذا آنست طرفة صناعية بديعة الصنع متقنة الوضع ـ الا تحكم على التو بانها لم تكن هكذا الا بصنع صانع ـ وان هذا الصانع عالم وحكيم وماهر في صنعته ؟

انهم يستدلون على وجود الانسان من وجود اعماله . ولقد استدل العلماء اصحاب التاريخ البشري على وجود الانسان الغابر ـ السابق للطوفان العام ـ من وجود مصنوعات غليظة استكشفوها في طبقات الارض الخاصة بذلك العهد كحطمة من اناء خزفي او حجارة منحوته ـ او سلاح من حجر

وما بنا من حاجة الى الاستزادة من ضرب الامثال ـ وهذه الطبيعة حولنا ناطقة

بوجود القدير الحكيم المتعال . انظر الى ما في هذه الطبيعة من اتقان وابداع وحسن واحكام ونظام وتدبير ثم احكم بعد ذلك مجرداً عن هوى الشيطان وزيغ القلب

على حين اننا لا نزال خاضعين لناموس النمو والارتقاء ـ ولا نزال في حالة انحطاط عقلي وادبي ـ اذن فليس يمكننا ونحن في هذه الحالة ان ندرك عدم تناهي المولى جل وعلا ، ولقد تصوروه كائناً محدوداً وتمثلوه باشباه تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً

ومن الناس من يجادل بالباطل في عدل المولى (وكان الانسان اكثر شيء جدلا) قالوا : اذا كان الله عادلا فلماذا هذا التناحر القائم ليل نهار بين الوحوش في الفيافي ؟

نقول: والرأي السائد ان هذا الناموس الطبيعي يظهر بادي الرأي انه مناف لجوده وعدله سبحانه وتعالى — وانما يعتقد الائتلاف المذكور نقصا اولئك الذين يعيشون في جلودهم ـ فلا ترتفع ابصارهم الى ما فوقهم ولا تقوى شاعرياتهم على الوصول الى الحقائق، ولا عقولهم على ادراك الحقيقة ـ أولئك الذين يقيسون كمالات الله جل وعلا على قدود افهامهم ومستوى مداركهم ـ ومافيهم من ماهية ادراكية ، وكان فوت افهامهم انهم انما يزعمون الخلل والنقص في عين الحكمة — وما دروا كيف يمكن لخير حقيقي — ان ينتج من شر ظاهر — ولو انهم ولوا وجوههم شطر المظهر الروحي — ووحدة نظام الكون — لزال من انفسهم هذا الوهم — او انتفى الشك، وتحققوا انه الصواب في ما ظنوه نقصاً وشذوذاً ، وان الحياة الجسدية انهي الا كساء وقتي ، أما الحياة الحقة الصحيحة — في الحيوان والانسان — فهي في العنصر الروحي

بين مذهبين

لا نبالغ اذا قلنا اننا نعيش في عصر المادة وقد ملك المذهب المادي على الناس جماع حواسهم ومشاعرهم — فصاروا ماديين في كل شيء ، في كل مظهر من مظاهر حياتهم — لا يهتمون الا بالمادة ، ولا يأنسون الا لها — ولا يفكرون الا فيها — فانتصر المذهب المادي على المذهب الادبي — ولكن الى حين — اما المذهب الروحاني — فالرأي عندنا انه — مذهب المستقبل — ولقد مل الناس هذه المادية بعد ان قطعوا فيها من عامة عمرهم شطراً كبيراً — وما في هذا المذهب (المادي) من فضل الا في تكييف وتسهيل سبل الحياة الدنيا ، وحسبنا أن نعلم ان النهليست ـ والفوضويين والشيوعيين ـ حسبنا أن نعلم أن هؤلاء ـ وهم أخطر ما يكونون على المجتمع الانساني وأضر ما ظهر على الانسانية ، ـ من الذين ارتشفوا المادية البحتة ، هنالك يحق لنا

أن عقت الاندماج في المادة بكل خواسنا وهنالك يحق لنا أن نعمل على إحياء المذهب الروحاني ـ وقد اذن مؤذن البشرى ـ ودقت ساعة الا نتعاش وبدأ نجم هذا المذهب في الظهور ـ بعد أن اعتنقه كثيرون ، واقبل عليه عظماء جليلون من عمد العلم وزعماء الفلسفة ، واقطاب المذهب المادي ـ وحسبك ان تعلم ان امثال ـ اديسون المخترع الامريكي الاشهر وأولفرلودج رئيس المجمع العلمي البريطاني واكبر مظهر في جو العلم وزعيم في حلبة المادة ـ ووليم جيمس ومكانته مكانته في العلم الحديث ـ وكونان دويل وستيد وامثال هؤلاء النوابغ قد هجروا المادية بعد أن عافوها واعتنقوا « المذهب الروحاني » وعالجوا كثيراً من موضوعاته عملياً .

***

من منا يستطيع أن يقف حركة تفكيره والناس مفطورون على التفكير ، شغفون بتعرف ما خفي وعمي عليهم ، كلفون بالنظر في ماضيهم ومستقبلهم ، فاول ما يهم الانسان التفكير فيه هو أن يعرف ويسأل نفسه في : من هو ـ من أين أتى ـ الى اين هو ذاهب وما هي الغاية من وجوده في هذا العالم ـ ؟

ولما لم يأنس الانسان في نفسه قدرة على تعرف الصواب من هذه الامور — ولى وجهه شطر العالم الغير المنظور — فعالج مسائل المذهب الروحاني وانتفع بها : انظر كيف قصد شاوول الملك الى عرافة عين دور — ثم طلب اليها أن تستحضر له روح صموئيل ـ فحضر روح صموئيل واستطلع منه نتائج الحرب كما جاء في التوراة

ان كثيراً من اليهود كانوا يتناقلون تعليما سريا يدعى القباله ـ موضوعه ـ مناجاة الارواح ـ ولم يكونوا يقبلون في شركتهم الا من قيد نفسه بالايمان المغلظة على الامانة وحفظ السر وهاك ماجاء في التلمود بهذا المعنى كل من تعلم هذا السر «استنباء الارواح» وحرص على كتمانه في قلب تقي يحظى بمحبة الله ، ومودة البشر ، ويكون اسمه مبجلا وعلمه لا يشوبه النسيان ويكون وريثاً للعالمين رأي الحاضر والعتيد

وانت تعلم من تتبع سير الاقدمين أن الشعوب جميعها كانت تؤمن قديماً بامكان مخاطبة الارواح ـ وانما كانت طائفة معينة في كل أمة ـ وبين كل جيل من الخلق تحتكر هذا الموضوع وتجعله سراً مكتوما ، وتخفيه على الكافة من الشعب

ولقد يحدثنا التاريخ أن كهنة الهنود كانوا يعالجون تعويد بعض اناس على استحضار الارواح ، وعلى معالجة حوادث أخرى مدهشة بالمغنطيسية الحيوية ، على

أن هذا السر ـ سر استحضار الارواح لم يكن يعلمه الا من قضى اربعين سنة في التجربة والطاعة العمياء ، اما المتمرنون فكانوا على ثلاث طبقات :

(١) البراهمة ـ ووظيفتهم العناية بالطقوس الخارجية ـ وخدمة هياكل الاصنام وارشاد الشعب وتعليمه

(٢) هم المقسمون والعرافون ـ ومستحضرو الارواح ـ ووظيفتهم ـ الابهام على عقول الشعب بحوادث خارقة ـ وكانوا يقرءون ويفسرون كتاب (الاطار فافيدا)

(٣) هم البراهمة المتقدمون المعتزلون عن الشعب ـ وكانوا يعالجون دراسة قوى الكون والعلل الطبيعية ولم يكونوا يظهرون خارج الصوامع الا نادراً وبهيئة مخوفة

وكذا أجمع المؤرخون على أن كهنة المصريين كانوا يأتون اعمالا خارقة للعادة منها تلك الاشياء التي تحدثنا عنها التوراة في سحرة فرعون

اما سيدنا موسى عليه السلام فقد نهى قومه عن ممارسة استحضار الارواح حيث جاء في سفر التثنية (لا يستعملن احد منكم السحر والرقاء ولا يستحضرن الاموات لاستطلاع الحقيقة)

ولا يزال النزاع قائماً بين الروحيين والماديين — في مسألة وجود نفس مدركة عاقلة في الانسان ، فأصحاب الدين يقولون بالروح ، وهي مصدر الذات العاقلة والماديون يكفرون بذلك — ويقولون بان الدماغ مصدر القوى العاقلة في الانسان — وان نسبة الدماغ للفكر كنسبة البول للكلى ، أوالصفراء للكبد ، فهم يجحدون كل ماهو غير (هيولاني) أي كل ماهو غير مادي ، ويقولون بأن الانسان — إن هو إلا آلة مادية تتلاعب به التأثيرات الخارجية ، حتى اذا جاء أجله انطفأ نورالفكر — وانعدم كل شيء

تقول : « فاذا نظرنا الى ماجاءنا به العلم سيما علم الفزيولجية على لسان علمائه الطبيعيين ، نجد أنهم يقولون بان كل حركة تصدر من إنسان أو حيوان — انما يصحبها احتراق جزء من المادة العضلية وكل فعل من الحس أو الارادة ، ينشأ عنه فناء في الاعصاب ، وكذا كل تفكير ينشأ عنه اتلاف فى الدماغ ، ومعنى هذا أنه ليس يمكن ابداً لذرة واحدة من المادة ان تصلح مرتين للحياة — فاذا ما بدأ عمل عقلي أو عضلي فالجزء من المادة الحية الذي يصرف لصدور هذا ، انما ينعدم تماماً ، فاذا عاد العمل وتكرر — فمادة جديدة تصلح لصدوره ثانية — وكذلك دواليك ، والقاعدة ان النسبة محفوظة في

الاتلاف أي أنه كلما اشتد ظهور الحياة ، ازداد تلف المادة الحية وانما المادة المستجدة الداخلة في الدم بواسطة الهواء والمواد الغذائية ، تعوض من هذا التلف باستمرار ، وانما يرتبط هذان العاملان الواحد بالآخر فعامل الاتلاف وعامل التجديد — يتصل الواحد بالآخر فى الكائن الحي ، وعامل التجديد سري خفي — أما عامل الاتلاف فيبدو للعيان، والحاصل من هذا عند العقل ان جسمنا يتجدد مرات كثيرة في مرحلة الحياة

يقول الماديون : ان الذاكرة عبارة عن اهتزازات فسفورية ، تتخزن فى القلية العصبية من الدماغ بعد ان تصل اليها التأثيرات الخارجية — فان صح ذلك — واذا تقرر ان كل مافينا من قلالى عصبية ، وانسجة عضلية ، وعظام تنعدم وتتجدد في فترة معلومة لاتزيد على السبع السنين، لاقتضى لقوة الذاكرة ان تنقص فينا بالتدريج الى أن تتلاشى في سبع سنين ، وان نضطر في كل سبع سنين ، الى تجديد كل ماتعلمناه سابقاً ، على أنا نشعر بأن الامر على العكس — ذلك بان تيار المادة المتجددة فينا لم يحدث اقل تغيير فى ذاكرتنا ، وانا فى إبان الهرم نذكر اموراً وقعت في حداثتنا ، وعليه فالواقع ينطق بانه برغم استبدال ذرات كياتنا ، فان كل مافينا يؤيد ثبات شخصيتنا — وهو مايدل على ان هناك غير «الهيولى» نفساً أو روحاً — يقيها جوهرها اللطيف من كل مايطرأ من تحول او تقلب ينتاب المادة ، على حين ان هذا لايمنع من انطباع صور الحوادث والذكريات فيها وكذا المعارف والعلوم انطباعاً يدوم زماناً طويلا — وهو عمل القدرة الآلهية»

أو لم يروا الى التنويم المغنطيسى ويشاهدوا كيف يكون اتصال النفس بالجسد — وكيف تقوم باعمال غريبة مدهشة ؟ وكيف تظهر في النفس قدرات تخفي في غير هذا الموقف ؟ انهم ان لم يؤمنوا بما اظهرتهم عليه الطبيعة امهم — كانوا من الضالين المتعنتين، ومعلوم ان مرجع الانفعالات والتأثيرات الدماغ ، ومعلوم ان الانفعالات والتأثيرات الخارجية تهتز الالياف الدقيقة التي تحمل هذه التأثيرات الى المجموع العصبي لينفذها ويجري حكمه فيها ، ومعلوم ان الاعصاب قد اختصت كل منها بوظيفة خاصة تقوم بها — فلا اعصاب السمع تؤثر فى اعصاب البصر ، ولا هذه تؤثر في غيرها ، وانما يقوم كل عصب بما خلق له . ونحن اذا بحثنا مثلا حاسة البصر ، نجد ان الحركة التموجية في الاثير — بتأثيرها في شبكة العين ، تحدث في العصب البصري اهتزازاً ، ونجد ان هذا الاهتزاز يمتد الى الطبقة البصرية المستقرة فى وسط الدماغ — قال : ومن هنا يندفع

الى مركز الحواس حيث ينتشر في القلالي الدقيقة ويوقظ العناصر التي وظيفتها نقل التأثيرات البصرية . إذن فكل هذه التأثيرات الحسية تتفرق ثم تجتمع في مكان خاص من الدماغ، وقد اثبت التشريح وجود اماكن معينة في الدماغ لتجمع وتكييف هذه التأثيرات . ولقد اثبت العلماء الفزيولوجيون بالتجربة انهم اذا قطعوا من المادة المخية قطعة أصولية ، يفقد الحيوان قوة ادراك التأثيرات السمعية أو البصرية

فاذا سألت احدالماديين كيف تتحول هذه الحركات الاهتزازية بعد وصولها الى مراكزها النسبية من الدماغ — الى افكار فهمية — قال انها حينما تبلغ القلالي الحسية — يحدث فيها من رد الفعل مايحدث في قلالي النخاع الشوكي . قال:

وهذا يحدث في ضفدعة قطع رأسها، ومع ذلك تتشنج رجلها لدى مسيسها بحامض مهيج . قال : فالامر نفسه يحدث في مؤثرات القلالي الحسية من الدماغ أي ان القلية القشرية عند مايبلغها الاهتزاز الخارجي، تنتبه وتفزع القوة الكامنة فيها وتمتد الحركة حتى تبلغ القلالى الغليظة — وهذه تنقلها الى المادة الرمادية ذات الاخاديد فيها من الدماغ التي تقوي الاهتزازات وتدفعها الى الاعضاء على شكل تأثير أو أمر أو محرك

انا نسلم مع ناكري النفس بكيفية مجرى الحس المعبر عنه بالاهتزاز العصبي — بيد ان هؤلاء فاتهم امر خطير بين بلوغ الحادثات الى الدماغ ورد الفعل ، — هو حادث الادراك — أي دراية الشخصية الانسانية بما حدث من الامور الخارجية — ذلك ان الاهتزازات والتهيجات العصبية إن هي إلا حركات مادية تولد حركاتها مثلها ولكنها لاتحدث ادراكا . وما نتيجتها سوى تنبيه القوة العاقلة لادراك مصدر هذا التنبيه وعلته وغايته .

قال : ان القلية العصبية المركبة من كميات متناسبة من الكوليسترين والماء والفوسفور وحامض الاوميك الخ ... ليست بذاتها قوة مدركة، والحركة الاهتزازية هي بذاتها حركة مادية محضة ، فكيف يعقل ان اهتزاز هذه القلية العصبية واتصالها يولد ادراكا — وهنا مايعجز الماديون عن تبيانه . أما الروحيون فيعلموننا وجود شخصية عاقلة فينا تسمى نفساً، تنتبه بهذا الاهتزاز الى ماطرأ من الحوادث الخارجية وعندما يتم انتباهها هذا يحدث الادراك

قال: ويؤيد هذا بأجلى بيان حادث الذهول... مثلا عند مانكون مستغرقين داخل حجرتنا في اي عمل من الاعمال — انا نغفل عن تكتكة الساعة بل عن طرق ناقوسها

أيضاً مع ان اهتزازات الصوت أثرت في عصب سمعنا وبلغت حتى الدماغ دون أن ننتبه لها . وما ذلك إلا لان نفسنا المشتغلة بأفكار اخرى لم تنتبه ولا أثرت فيها اهتزازات القلالى الدماغية ، فلم يحصل الادراك السمعي ، والحاصل ان المادة ذاتها عديمة الاختيار لاتولد شيئاً من نفسها — والمادة الدماغية آلة لتبيان احساسات النفس العاقلة وافكارها فلا تعقل لما تصدر بواسطتها من التعبيرات الفكرية كما ان آلة الساعة مثلا لاتدرك حركة الاوقات التي تشير اليها ، ولا قراطيس الكتاب — الافكار المسطرة عليها ، ومن زعم ان الدماغ يدرك الفكر كمن يزعم ان الساعة تدرك حركة الوقت ، والقرطاس معاني الكتابة .

ومالنا لعنت أنفسنا ونكد عقولنا في نقد المذهب المادي ، ونقض ماقام عليه من أسس ، ولدينا من آراء فحول المادية ، ومشهوري الطبيعيين مايغنينا عن ذلك — ويبين للملأ إن قدرة الخالق ظاهرة في كل الموجودات — وينطق بعظمتها وحكمتها حتى أصحاب الجحود ممن عاشوا في جلودهم، وعبروا عامة عمرهم بين معامل الكيمياء ، لايخنعون إلا للظاهر المحسوس ، ولا هم يؤمنون إلا بما هو طبيعي ذو أثر بين .

وانـا موردون طائفة من هذه الآراء يستعرضها القارىء الكريم ليجري من بعد ذلك حكمه غير خاضع لمؤثر ، أو متنكب سبيل الصواب وهاك هي :

الاستاذ ميلن — في جامعة السربون يقول : ان الحيوان المسمى اكسيلوكوب من المحيرات للفكر — قال : ان هذا الحيوان — يرى طائراً في الربيع، ويعيش منفرداً ، ويموت بعد أن يبيض مباشرة ، فلا يرى صغاره ، ويعيش في مكان محكم — حتى إذا حان وقت البيض عمدت الانثى الى قطعة من الخشب فحفرت فيها سرداباً طويلا — ثم عمرته بذخيرة تكفي صغارها سنة كاملة — وهي طلع الازهار وبعض الاوراق السكرية وتأتي بنشارة الخشب تجعلها سقفاً على تلك البيضه — ثم تجيء بذخيرة جديدة تضعها فوق ذلك السقف ثم تضع بيضة اخرى — وهكذا فتبني بيتها مكوناً من جملة ادوار — فاذا تم لها ذلك — ودعته وهلكت .قال الاستاذ . ان الانسان ليدهش إذ يرى هذه العجائب — ويرى من الناس من لايزال يقول أنها كلها نتيجة المصادفة

باستور — صاحب التجاريب في الاختمار — سأله سائل: كيف يادكتور نستطيع انِ نوفق بين استكشافاتك العلمية والتعاليم الدينية ؟ فأجابه قائلا : اعلم بأن دروسي

بدلا من ان تزعزع اعتقادي – جعلتني في ايمـاني كالفلاح البريطاني . (وهو مثل فرنسي يضرب لشدة الاستمساك)

هارفي — مستكشف دوران الدم في البدن — قال ما شرحت حيواناً الارأيت فيه شيئاً جديداً يدل على العناية الالهية

الاستاذ جوليه — يقول : ان مذهب لامارك ومذهب دروين يستويان في القصور — فانهما لا يفسران الا التحول من الحياة المائية الى الحياة الارضية — ولا التحول من هذه الى الهوائية — قال فكيف استطاع الحيوان الزاحف وهو سلف العصفور أن يناسب البيئة التي ليست ولا يمكن ان تكون له إلا بعد أن يتحول من صورة حيوان زاحف الى صورة عصفور ؟ وكيف يستطيع ان تكون له حياة هوائية قبل ان تكون له اجنحة نافعة ؟ اما مسألة الحشرة فانها اشد استحالة من ذلك — فهل هناك اية علاقة من جهة علم الحياة بين الدودة و بين الحشرة الكاملة التي تنقلب اليها؟ لان الحشرة التي اعتادت الحياة الدودية تحت الارض، وفي الماء ، فكيف تصل شيئاً فشيئاً الى ايجاد اجنحة لجسمها تصلح لحياة هوائية بعيدة عنها بل مجهولة لها ؟

نيوتن — دحض آراء الماديين فى اربع رسائل كتبها ثم بعث بها الى الدكتور (تنبلي)

فون باير — من اقطاب الفيزيولوجية ومؤسس علم الاجنة — قال : ان الراي القائل بان النوع الانساني متولد من القردة السيمائية هو بلا شك ادخل رأي في الجنون — قاله رجل على تاريخ الانسان

دوفري — يقول ان التحولات الفجائية هي القاعدة في عالمي الحيوان والنبات وقد اعلن هـذه الحقيقة (جوفر) و (سان هيلر) و (كوب) وثبت ان الظهور الفجائي للانواع الكبيرة الرئيسية كالزواحف والطيور ، وذوات الثدي — كان في الارض الجيولوجية ، ومتى ظهرت حصلت على صفاتها

هكسلي – يعترف في كتابه (داروينا) بانه يستحيل نقض الالوهية بحسب مذهب الارتقاء ، ويقول في مقال آخر : ان من ينكر وجود الآله كما تصوره (سبينوزا) لأحمق — وهو يعترف اخيراً بالقوة الفاعلة القادرة

دكتور جوستاف جوليه — يقول : يكفي لابطال النظريات الدروينية — ان يتأمل الانسان الحشرة — فانها ظهرت في اقدم عصور الحياة الارضية وثبتت انواعها في جميع الاحوال – فهي تناقض ماذهبوا اليه – من التحولات المستمرة البطيئة ،

وتناقض التطور بفعل الفواعل الخارجية ـ فانها تنقلب داخل الشرنقة من حال الدودية ـ الى حشرة طائرة ـ ولا تأثير عليها من الخارج كما ان الهوة عميقة بين الحال الاولي ـ وهي الدودية ـ والحال الثانية وهي حال الحشرة ـ وهي هوة تضيع فيها ولا كرامة جميع النظريات الداروينية واللامركية ـ فالحشرة أدت شهادة حسية لبطلان مذهب دروين كما اثبت عجزه في تفسير غرائزها الاولية العجيبة المحيرة للعقل

ولاس ـ شيخ علماء الطبيعة وشريك دروين في كتابه عالم الاحياء ـ يقول : ان وجود هذه الاحياء يستلزم وجود قوة مرشدة مدبرة ـ فيستلزم وجود قوة خالقة ـ أوجدت المادة على اسلوب يجعل حصول هذه التنوعات من الممكنات ـ وثانياً وجود عقل مرشد لانه لابد من الارشاد في كل درجة من درجات النشوء ـ وثالثاً لا بد لهذه القوة الخالقة من غاية ترمي اليها فيما خلقته ودبرته في هذا الكون الوسيع ـ طوال هذه العصور الجيولوجية الغابرة والحاضرة ، وعندي ان هذه الغاية هي الانسان ـ هو المخلوق الذي يفهم شيئاً من نواميس الطبيعة ـ ويستقصى أعمالها ويدرك قيمة القوى التي فيها ، ويستنتج منها وجود العقل المتسلط عليها .

دوكاتر فاج — يقول ان القرابة في التاريخ الطبيعي للانسان من القردة طبيعي ان الانسان في العهد الحفري الرابع وجد مشابهاً لنا في الصورة — (مع انه كان يجب ان يكون اقرب الى اسلافه القردة) ثم قال : انا لا نستطيع ان نعتبر ولادة الانسان من القرد أو من أي حيوان آخر — من الامور العلمية .

جسندي — سنة ١٥٩٢ قال : ليس عندي شك في ان الله خلق العالم — إلا انه لا بأس من معرفة كيف كان يمكن العالم أن يتكون من نفسه .

لامارك — يسلم بوجود الله وينسب اليه وجود الهيولي المركب منها الكون — ولكنه يقول : انه تعالى بعد ان خلق الهيولي بخصائصها لم يفعل شيئاً ، وان الحياة والاجسام الآلهية والعقل — كلها نتائج الهيولي ، ونتائج قواها — فهذا الرجل لايخالف اهل الدين في وجود الخالق ، بل يخالفهم في كيفية الخلق — والرأي عندي ان مذهبه هذا يتفق مع بعض المتكلمين من اهل المذاهب ويسير مع القدرية او المعتزلة الذين يقولون : ان الخالق وضع للكون نظاماً تنطبق اصوله علي مصالح المخلوقين في أفعالهم — قوى وقدراً ، تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسببية ، او بطريق الارادة والاختيار ، وهم من هذه الناحية لايخالفون الفلاسفة في قولهم بلزوم الآثار لمصادرها أو تأثير قدرة

المخلوقين في أفعالهم — باقي منهم الى اليوم طائفة الشيعة الامامية الزيدية .

سبنسر — سائلا نفسه ، ماهي القوة التي يتحتم بقاؤها ؟ أهي القوة التي تؤثر في عضلاتنا ، والتي تشعر بها حواسنا ؟ كلا بل هي تلك القوة المطلقة المجهولة المستقرة وراء الصور والمشاهدات ، ونحن مع عدم امكاننا ان ندركها ، فاننا نتأكد من انها ابدية — لم تتغير ولن تتغير — كل شيء زائل أما هي فباقية أبداً الآبدين — وهي علة العلل .

ولقد سئل عالم فيلسوف مؤمن — ما قولك في مذهب دروين ، وماذا نصنع معه ؟ فقال : إذا كان من يصنع ساعة يعد عظيما — فالذي يصنع ساعة تصنع ساعة يعد أعظم .

تحمل الاستاذ الزرقاوي لموضوع (العدل الالهي) فنشر في « جريدة الاهرام » سؤالاً عاماً وجهه الى كل من يهمه هذا الأمر ولما كان هذا السؤال كالزلاقة التي ينحدر عليها كل متورط ، وكان أخطر الخطر ان يلقي في روع الناس مثل هذه الريب والشكوك — لذلك آثرت الرد على الاستاذ في تريث وهوادة — عسى ان أصل الى ما ينقع غلة او يشفي علة فنشرت رسائل في « الاهرام » رداً على هذا السؤال — هي بعض هذا الكتاب — وهي جمّاع آراء وعنعنة أفكار أكثرها لغيري وأقلها لي وفقنا الله وهدانا الى ما فيه الخير والبر

وهاك سؤال الاستاذ :



العدل الالهي

وأين اثره في المخلوقات

صورة السؤال الذي نشره الاستاذ الزرقاوي

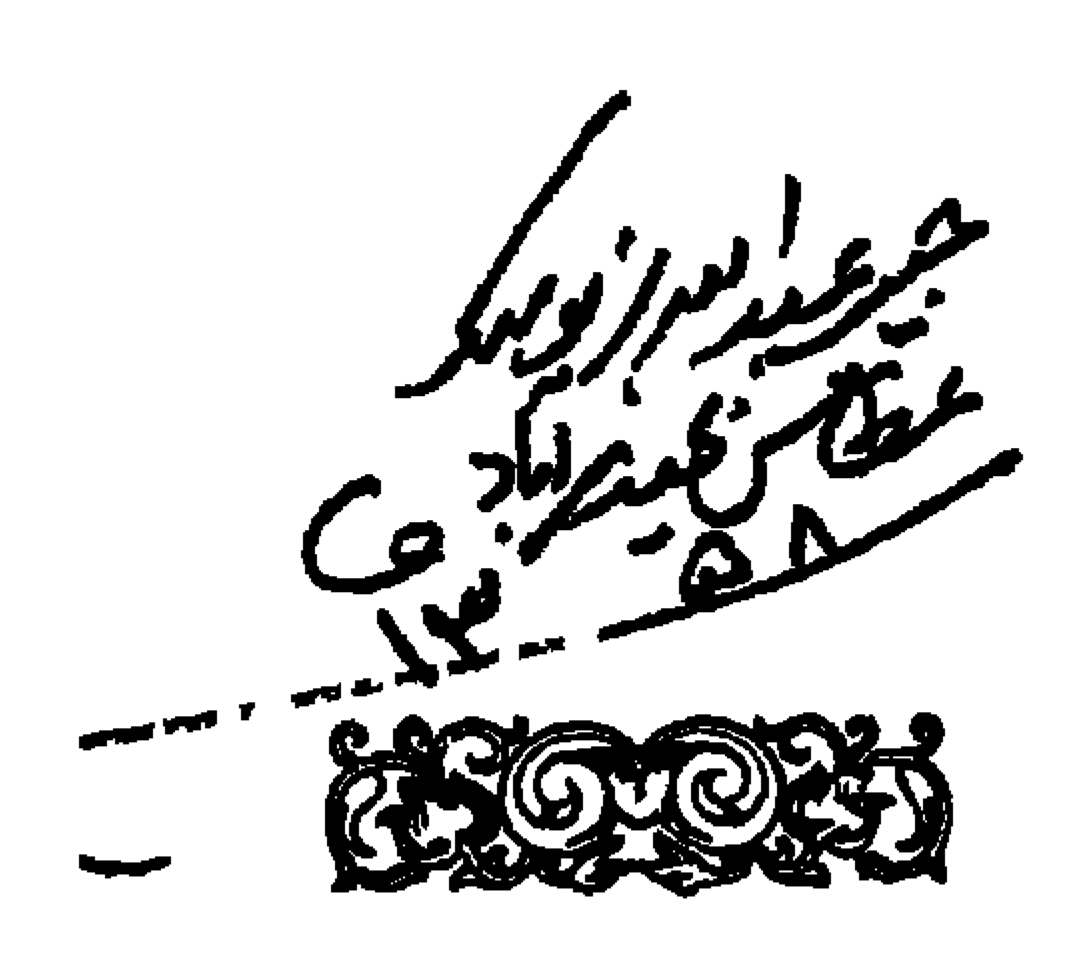
الا يرى الباحثون من العلماء والمفكرين ان العدل الالهي يقضي بان يكون الناس سواءفي السعادة والشقاء. اي لا يوجد فارق بين المخلوقات العاقلة بان تكون المماثلة بين افرادهذه الاحياء العاقلة على اعمها في التغييرات التي تتعاقب عليها من صحة وسقم . وعلم وجهل ،وغني وفقر وما اشبه ذلك مما يسمونه سعادة او شقاء؟؟

ان الله قادر عادل ظهرت قدرته في صنعته الباهرة وتجلى عدله في نظام الكون البديع — وان العدل الالهي لمن ابين صفات الله تعالى القدسية التي ثبتت بالادلة التفصيلية اليقينية. وان آثار تلك الصفات لواضحة في جميع الكائنات . فأين هو اثر تلك الصفة العظيمة صفة العدل في المخلوقات العاقلة ؟ . اين اثرها في هذه المخلوقات وقد جعلها الله فريقين فريقاً شقياً وآخر سعيداً — جعل الله زيداً ملكا ولم يجعل عمراً كذلك . واعطى بكراً سعة وحرم خالداً منها . وجعل خالداً اهنأ بالاً من هذا الفلاح الذي يكد ويشقى في حرثه وزرعه ولا ينتج مايقوم بحاجته من سداد او عوز وهو اي الفلاح مع ذلك ارغد عيشاً من المتسول الذي يمد يده للسؤال .وان هذا المتسول الصحيح الجسم لاحسن حالا من الاعمى المقعد الذي يستجدي الناس في قارعة الطريق وحر الهجير وبرد الزمهرير . ولم ينل من نصيبه إلا الايذاء والاستهزاء — لماذا سلب نعمة العقل من البعض وانعم بها على الكثيرين ممن اصطفاهم — ولماذا جعل هذا عالماً عملاً طباق الارض علماً او فيلسوفا يرد الاشياء الى حقائقها .وجعل الاخر جاهلا لا يعرف الارض وما طحاها او احمق يزج بنفسه الى حيث الموارد المهلكة .لماذا كل هذا التفاوت في المخلوقات العاقلة وهي صنعة واحدة والصانع واحد . ومن صفاته القدسية الحكمة والعقل ؟ ؟

ستقولون انه سبحانه وتعالى جل اسمه وتقدست ذاته مقسم الحظوظ مطلق التصرف في ملكه يعطي من يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون — فاقول — نعم

وانا مؤمن بذلك كل الايمان . ولهذا فاني لااسأل عن شيء فعله لماذا فعله. اعتقاداً بانه سبحانه فعله عن حكمة كما لاأسأله عن تصرفه المطلق سبحانه وتعالى لماذا كان هكذا . فاني موقن بانه صادر عن حكمة ايضاً — وانما انا اسأل العلماء والحكماء والفلاسفة عن الحكمة نفسها . ماهي تلك الحكمة ؟ اي لماذا اختص الله سبحانه فريقاً بالسعادة وفريقاً بالشقاء — هذا هو سؤالي وهو ما اطلب الاجابة عليه من الفلاسقة والحكماء عامة ومن علماء الاسلام خاصة — لاتقولوا ان نظام الكون يقضي بان يكون هذا غنياً وهذا فقيراً . وهذا عالماً وهذا جاهلا . وهذا مبصراً وهذا اعمى الى آخره — فاني اقول وما ذنب الفقير وما ذنب الجاهل وما ذنب الاعمي ؟ ولماذا كان هؤلاء الضعفاء هم الذين يبنى عليهم نظام الكون ويحملون عبئه وهو ثقيل جداً — الحق ان ماتجيبون به عن هذا السؤال لايشفي غايلا ولا يهدي حائراً . فهل من اجابة تشفي الصدور وتهدي الحائرين

الزرقاوي الفلكي



— ١ —

العدل الالهي

وأين أثره في المخلوقات

(ما كل مايعرف يقال ولا كل مايقال جاء أوانه
ولا كل ما جاء أوانه حضر أهله)
الامام علي

الشك أول خطوة من خطوات اليقين ، وليس من يقين ثابت صحيح — الا بعد ان يخطو صاحبه هذه الخطوة الاولى ، ويقطع مرحلة صعبة مدرجة — عامرة بالريب والشكوك،وما من مخلوق الا ساوره الشك،وانتابته الريب — في تفكيراته — وتأملاته ومناجاة نفسه ، بيد أن هناك فرقاً بيناً بين شك وشك — وعمى وعور . ذلك بأن بعض الذين ضلوا — والذين في قلوبهم مرض — يعميهم الشيطان فيحول بينهم وبين نور الحق .

على حين ان طائفة من أهل التفكير — تقطع مرحلة الشك هاته سراعاً ، وتمر بها على عجل — ثم تعود الى الطمأنينة الابدية ، والسعادة التامة . ولقد نعت المولى جل وعلا في القرآن الكريم — النفس — بنعوت ثلاثة . (١) فوصفها بأنها أمارة بالسوء (٢) ثم بالنفس اللوامة — (٣) ثم — يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي . — وهو دليل ما تقطعه النفس في سبيل تدرجها من حال الى حال — حتى تبلغ الكمال — هنالك الولاية لله .

أنا أفهم ان انساناً من مخلوقات الله — عبر عامة عمره بين جدران المعامل يحلل ويركب في المادة فيستظهر قواها — ويتعرف أشكالها وحالاتها ، ويهتك مساتير الطبيعة ، فيكثر علمه — ويزيد على عقله — ويضعف عقله و يصبح لا يقوى على تحمل هذا العبء الثقيل فيضل ويتخبط خبط عشواء — فيكون له من ذلك شبه عذر — ويقال معذور لان عضل عقله لم يستحمل ثقل مسائله العلمية .

وأفهم أيضاً أن فيلسوفاً كبيراً عكف على تعرف حقائق الاشياء على ما هي عليه —

فأطلق لنفسه العنان في تأملاته فشك اولا ، ووقف ملاوة من الدهر بين الحالتين — حالة الشك وحالة اليقين ، ثم عاودته الهداية فاهتدى وكان من الخاصين. وهذا معذور أيضاً — لان الشك أول خطوة من خطوات اليقين — ولان الايمان بالوراثة أو باللقاح — غيره بعد شك وتأمل وتفكير .

ولكني لا أفهم معنى هذه النغمة النكراء — ترسلها أقلام بعض المتبجحين ، وتلوكها أفواه بعض المارقين المتشائمين، — لمرض في أنفسهم أو ضعف في أعصابهم — أو غرض يسعون اليه — على اني أستنكر على هؤلاء أن اسميهم ملاحدة أو ماديين — والماديون ناس لهم تفكير ولهم عقل ولهم من بعد ذلك مذهب له قيمته من الخطأ أو الصواب ، اما أصحابنا فمقلدون عمي في تقايدهم — سمعوا ان جيلا من الخلق، أو طائفة من الناس يقولون بكذا فساقهم ذلك الى ان يخالفوا فيعرفوا ـ وكان البلاء عاماً وشاملا. أولئك يعيشون في جلودهم فلا ترتفع أبصارهم الى ما فوق الحس ولا تتعرف بصائرهم غير المحسوس.

الله عظيم ـ وهو صانع حكيم ـ فاذا كنا لا ندرك عظمته المتجلية في مخلوقاته واذا كانت حكمته فوق عقولنا الهيولانية ـ فليس هذا يمنع من وجود هذه الحكمة ـ تريد أنت أيها المخلوق الضعيف أن تهيمن على كل شيء ـ وتتعرف حكمة كل شيء ـ ولكنك لو ادركت حكمة خالقك في كل شيء ـ لما كان بينك وبين الخلاق من فارق. الله اكبر ـ فاذا كان المكتب الذي تجلس خلفه يدرك حكمة صانعه النجار ـ وهندسته ـ وما في عقل هذا الصانع من صور وأشكال ـ اذن لكان هذا المكتب والنجار سواسية ـ فنسبة المكتب للنجار كنسبتك للخلاق جلت قدرته (وهذه نسبة تقريبية ـ قياس مع الفارق)

قالوا : ان اللذة والالم ـ خطان طويلان ـ ولم يعرف للآن الحد الفاصل بينهما، فاللذة نسبية والالم نسبي ـ والسعادة من بعد ذلك نسبية ايضاً ـ وانت ترى الغني وعلى مائدته الوان الطعام ـ والشراب ، وترى داره عامرة بالاموال فتظنه سعيداً ـ على انه قد يكون أتعس من متسول يتسكع في الطريق تعلوه أثواب رثة خلقة ـ يملأ بطنه بفتات العيش وفضلات الآكلين ـ ثم يفترش الغبراء ـ ويلتحف الهواء والزرقاء ـ هادىء البال مطمئن الخاطر غير مشغول بهبوط اسعار القطن ـ ولا هو مهموم من كدر الحياة ـ ومتاعب الدنيا

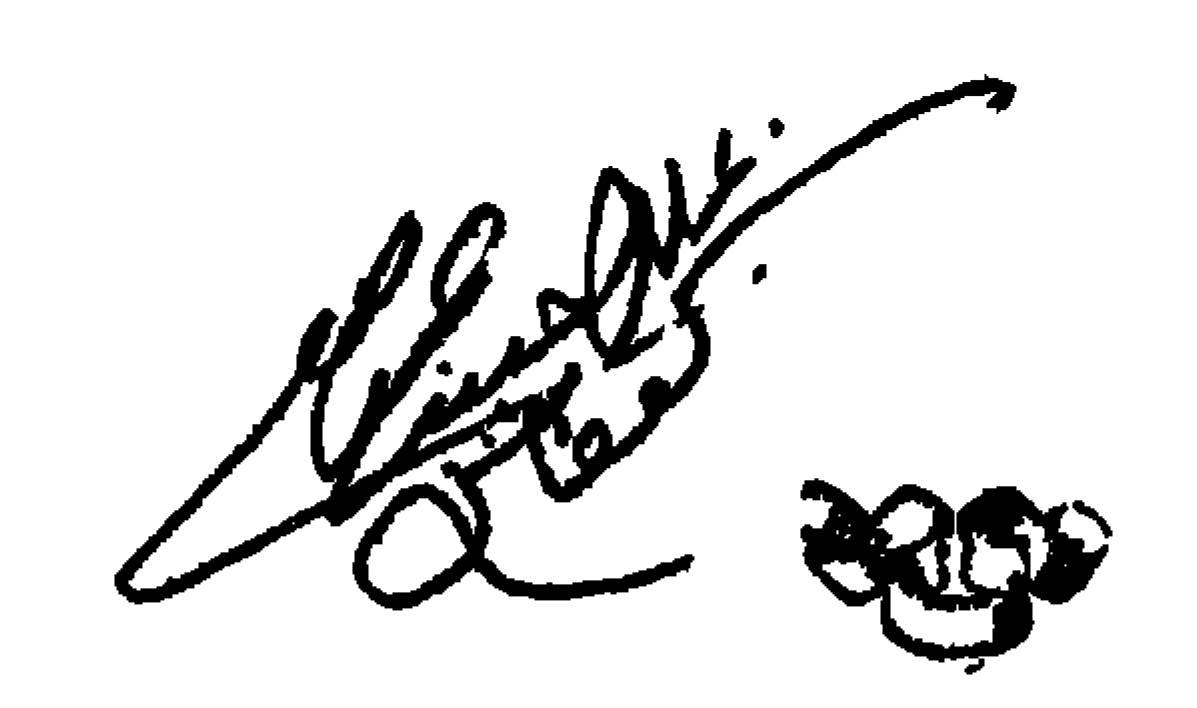
تعب كلها الحياة فما اع جب الا من راغب في ازدياد

ولقد بحث الحكماء والفقهاء والعلماء عن السعادة فلم يهتدوا اليها — وليست هي في المال ولا في الجاه — ولا في شأن من شؤون هذه الحياة او عرض من اعراض هذه الدنيا — وانما هي في الطمأنينة — هي مع النفس المطمئنة —

على ان عقولنا — على قدر ما تستطيع ان تدرك — لها ان تعلل الشقاء في هذا العالم — وهو نسبي ايضاً — بعلل كثيرة — منها : انهم قالوا ان المصائب في هذا العالم ترقي النفس وتصهرها — وانه لا ارتقاء من غير الم او كدر ونكد .

ومنها باب تناسخ الارواح — وقد لا يقره البعض — على انه يفسر هذا الموضوع تفسيراً لا ريبة معه ، ولا شك فيه — ذلك بان النفس انما تتدرج من مرتبة الى مرتبة ارقى من الاولى — كما يتدرج الطفل من آلي الفصول الدراسية الى عاليها — فاذا لم ينجح في امتحان عاد الكرة — وبقي في تعذيب وكروب — حتى يبلغ شأوه — ولمسألة التناسخ اقاويل كثيرة لا يتسع لها المقام — ومن له اذنان للسمع فليسمع !

الا ان هذه النغمة النكراء لبدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.



— ٢ —

اعتراضات وتأملات

لكل إنسان وجهة هو موليها ـ لا يحيد عنها يمنة ولا يسرة ـ وما نحن بقادرين على أن نغير أو نبدل من مبادىء الناس ـ ومعتقدات خلق الله ـ ولو طالت الأيام ، وحفت الأقلام ـ بيد أنا مع ذلك نحاول أن نخفف ونلطف من وقع المصيبة التي قذف بها الزمن في وجوهنا وفي هذا العصر ـ عصر الضلالة والبدع ـ عصر التبجح والاستهتار بالدين الحنيف ـ فلا كنا ولا كان وجودنا ـ الا بئس ما يقرأون

أما وقد ألمنا الماعاً في ما أسلفنا من الكلام عن العدل الآلهي وأثره في المخلوقات فانا نريد أن نتبسط في الحديث ونسترسل في الكلام عن العدل الآلهي ـ فنجيء بلمعة من معترضات منكري الاديان ـ ثم نعقب عليها بما يعن لنا ، او بما يقع بخاطرنا ، وما يصل اليه تأملنا فنقول :

سيقول الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والذين يقولون ان هي الا ارحام تدفع وارض تبلع ـ نعم سيقول هؤلاء ـ قول الفرية والبهتان ان أعمال الطبيعة صادرة كلها عن قوى مادية تفعل فعلها ـ آلياً (ميكانيكياً) ومن غير عقل ولا تدبر ـ تحت حكم وهيمنة ناموس التجاذب والتدافع ـ فتتجمع ذرات الجسم وتنحل وتنشأ النباتات وتنمو وتتوالد ـ ويحدث نموها وأزهارها واثمارها وتلوينها ـ كل ذلك يكون ويحدث بأثر مؤثرات فعالة ـ هي الحرارة والرطوبة ـ والنور والكهربا ـ وهكذا قل عن اجسام الحيوانات وبني آدم . وأما الاجرام الفلكية فتتكون بفعل تجمع دقائق الاثير ، وتنتقل في سيرها بقوة الجاذبية .

قالوا : فنظام كهذا لا يدل على علة عاقلة حرة ـ لأن الانسان يحرك يده متى شاء وكيفما شاء ـ وأما من يحركها في ناحية واحدة من يوم أن يولد الى أن يموت ـ فانما يكون آلة لا عقل لها ولا ارادة ـ ذلك هو شأن القوى الطبيعية ـ فانها آلية محضة لا تتغير ، تعمل على سنن واحد ونسق واحد ـ عام شامل منذ الازل .

تقول : هبك وجدت ساعة في صحراء أو بيداء ـ فانك على التو تحكم بأنها ليست من عمل الصحراء ـ ولكنك تحكم بأنها مصنوعة وان صانعها مفكر وله المام بالفن والصناعة ـ يريد ويعمل الخ ـ ذلك بأنه لا يمكن عقلاً ان توجد ساعة بدون (ساعاتي) فوجود الساعة وصناعتها باحكام وحذق وتعقل ـ انما يدل على ما لصناعتها من هذه الصفات ـ وعلى مهارة وقدرة وارادة الصانع ـ لقد دل الأثر على وجود المؤثر

فكرة وجود الله

انما يستدل على كل شيء ، بأثره ــ ولقد فصل الطوفان بيننا وبين الانسان الغابر ولم نعرف من اعماله وشؤونه الا ما حفظته لنا الكتب المقدسة، ولا تهيأ لنا أن نتعرف مدنيات تلك الاجيال ــ الا بعد ان استكشف العلماء ــ مصنوعات غليظة الفوها في الطبقات المتعلقة بتلك العصور .

هنالك عرفنا مقدار ما وصل اليه عقل إنسان هذه العصور ، وهنالك امكننا ان نقدر مقدار ما بلغت اليه مدينة من الكمال النسبي وهو ما نذهب اليه من القول بان الصنعة دليل على الصانع والأثر على المؤثر

نقول : أن المقبول عقلا ــ والمألوف المعروف ــ أنه لا بد لكل معلول من علة ولكل مسبب من سبب انما عظمة العلة وقوتها وأهميتها ــ تكون بمقدار عظمة وقوة وأهمية المعلول ــ ولو كانت العلة خفية غير ظاهرة ــ فما كان عدم ظهور العلة بمانع لوجودها ، ولا حائل دون فعلها وأثرها ــ ولنضرب لذلك مثلا ــ انك وانت واقف تتطلع الى الجو ــ انست طيراً يحلق في الفضاء فاستلفت نظرك واسترعى بصرك ، وبينا انت على هذه الحال اذ بالطير هذا يسقط من شاهق برمية رام لم تره .

هنالك لا بد وانك تحكم بأن انساناً يحمل « بندقية » او مسدساً ــ قد صوب هذا الطير ، وان هذا المصوب ماهر حاذق مبصر ذو دربة ، والواقع انك حكمت هذا الحكم عقلاً وحساً ، ولو لم تر الضارب ، لان حالة رأيتها ــ لا بد أن تشغل حيزاً في ذهنك ولان هذا الحكم هو المقبول عقلا

وانت حكمت ــ على أن هناك فاعلاً ــ وانه ماهر او مبصر ــ لانك رأيت اثر ذلك في فعله ــ ولو لم تره ــ ذلك شأن العاقل الذي يريد ان يستدل على وجود الله ــ جل شأنه ــ بآثاره في مخلوقاته

— ٣ —

اين السعادة ؟

كل من في هذا الوجود ينزع الى غاية ويسعى بكل ما فيه من حول وطول ـ لتحقيق هذه الغاية ، ولو انك سألت الطفل في مهده واليافع والرجل الكامل والكهل والشيخ ـ ماذا يحب لقال لك على التو انه يريد ان يكون سعيداً فالناس في هذا الباب سواسية ينتهون عند غرض واحد يتناضلون عليه ، ومسعى واحد يسعون اليه

ولئن كانت غايتهم واحدة ، ومقصدهم واحداً فانهم يختلفون في تحقيق هذه الغاية ، وفي سلوك السبيل الموصلة اليها ، تنوعت الوسائل والغاية واحدة ألا وهي السعادة : واختلف سبيل الوصول اليها ـ باختلاف ما في الناس من مزاج واستعداد ونظر

فالمالي يجد سعادته في جمع المال ، والسكير في كأس خمره ـ والمتدين في نسكه وصلواته ، وهي كلها لذائذ نسبية ـ تختلف باختلاف الميول وان اتفقت الغاية

ولقد عبر العلماء والحكماء عامة عمرهم يبحثون عن السعادة فلم يلقها الا القليل اذ ليست السعادة في المال ولا في الجاه ولا في القوة ولا في النفوذ ولا في عرض من أعراض هذه الدنيا ـ وانما هي في راحة الضمير ـ وطمأنينة القلب

أجل ـ لقد ضل من يحاول البحث عن السعادة في كل مكان حوله ، ولئن كان هذا عجباً فأعجب منه من يتطلبها في مظهر من مظاهر هذه الحياة ويظن انها بعيدة عنه وما هي الا فيه ولكنها نسبية والسعادة الحقيقية ليست فيما تطلبه ولا خارجة عنه ـ وانما هي فيما يرضي الله من عمل الخير وقول الصدق ونحن نسأل عنها في كل مكان ونتفقدها كضالة منشودة هنا وهناك ـ وهي بمقدرتنا ومعنا ولكن لا نراها ولا نحس بها ، كم من سعيد بماله او جاهه او مكانته وهو شقي بنفسه ـ وماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، وأنت تستطيع ان تكون سعيداً وما ينقصك شيء مما يلزم لذلك الا ان تكون فيك نفس طيبة تسعى للبر والخير وتعمل لادراك كمالاتها

وانما توارت هذه السعادة ، وفاتت هذه اللذة كثيراً من خلائق الله ، وما أدركها الا الذين أخلصوا ، وولوا وجوههم شطر الحقيقة ، هنالك يتبين الوجدان الطاهر

وهنالك تكون النفس آمنة مطمئنة حيث قد رجعت الى ربها راضية مرضية

نجتزىء بما أسلفنا من قول في هذا الموضوع ـ ولعلنا نعذر اذا انتقلنا الى اعتراض آخر من اعتراضات اللادينيين فنقول : ربما قال بعضهم اذا كان الله موجوداً فينا وفي كل مكان ، فلم لا نراه ولا نحس به ـ وهل نراه بعد الموت ؟ والجواب

— ٤ —

في الروح

انا نقول : والوجه في ذلك اننا بما فينا من حواس مألوفة معروفة ، ليس يمكننا ان ندرك الخالق جل شأنه ـ ولكن حاسة أخرى نحن بحاجة لها لندرك ذلك ـ وهذه الحاسة لن تخلق فينا الا بجهد وجهاد ، وعناء وكدح ، ولذلك سبل متعددة فالعالم او الفيلسوف يتبعها من طريق توسيع دائرة معارفه ، فيعكف على البحث والتحصيل وادراك خواص الطبيعة وماهياتها وكيفياتها ، ثم هو من بعد ذلك يخلو بنفسه ليطلق لها عنان البحث والتفكير والتأمل وهذه سبيله للوصول ـ أي انه يريد ان يصل الى الحقيقة من طريق العقل . وأما المتدين فانه يريد ان يصل الى ذلك من طريق الصلاة والصيام والاعتكاف على التنسك والتعبد. وهناك من يسعى الى ذلك من طريق ادراك الوجدان ـ وهو عندي أقرب طريق موصلة الى هذه الغاية ـ وأصحاب هؤلاء هم المتصوفة

ومهما يكن من الامر فان حالة كهذه لا يدركها المرء الا بعد ان يلقى صعوبات لا بد من تذليلها حتى يصل الى نشدانه ـ هنالك لا يبلغ هذه الدرجة مريد الا بعد ان تبلغ روحه درجة النقاء

اذن فلا يمكن لمخلوق مهما كان، ان يصل الا بعد بذل جهد شديد، وانما من مقدمة برهان وجوده تعالى نستطيع ان نستدل على صفات ضرورية فيه لا يمكن بغيرها أن يكون الهاً وهذه مسألة من أعظم المسائل الدينية . نقول : وأهم هذه الصفات وألزمها ـ انه سبحانه وتعالى احد أزلي غير مادي ممتنع التغير ـ ضابط الكل غير متناه في الوجود والعدل وسائر الكمالات

وانما يقصر عقل الانسان ويكون فوق قدرته ان يدرك عدم تناهي الله ـ وليس لذلك من سبب الا تأخره العقلي والادبي ـ فيتصور المولى جلت قدرته محدوداً ويتصور له صوراً متشابهة له ويتصوره جالساً على عرش رفيع في أعلى السموات لا يليق به التدخل في أمور صغيرة حقيرة

قالوا : فلنتصور سيالاً في منتهى الدقة واللطافة ينفذ الى الاجسام والكائنات بأسرها كما ينفذ الجسم الروحاني في الجسد الهيولاني في كل أجزائه ـ على ان الجسم

الروحاني ليس في ذاته عاقلاً ـ بل هو موصل لافكار الروح والعامل الناقل لاحساسها وادراكها ـ فمادته السيالة تتشرب على نوع القول فكر الروح فتصير معه واحداً كما يصير الهواء مع الصوت واحداً — قالوا : فكما نقول مجازاً — دوي الهواء، وهزيج الريح — هكذا يسوغ لنا بطريق المجاز ان ننسب للمعلول ما للعلة — فنقول عن السيال الروحاني انه عاقل — والسيال الروحاني هذا بذاته لا يعقل وانما يعقل بسبب وعلة اخرى

قالوا : ان اعيننا الجسدية محدودة في شعورها وكثير من العوامل المادية تفوتها — وانا مثلاً نرى مفاعيل الوباء — ولا يمكن لنا ان نبصر العامل الذي ينقله مع اننا نؤمن بوجوده ونحس بفعله . ونشاهد الاجرام الفلكية تسير بقوة الجاذبية ولا نرى بأعيننا ولا بنظاراتنا المكبرة هذه القوة . اما الاشياء الروحية فلا يمكن ان نراها الا بأعين النفس — هنالك الرقي الكمالي وهنالك نرى الحقيقة . قالوا : مثل ذلك كانسان مستقر في واد عميق يكتنفه ضباب من كل جانب فلا يرى الشمس وانما يتحقق وجودها من انتشار بعض النور حوله فاذا طفق يصعد في الجبل ازداد النور حوله وضوحاً على قدر ارتقائه ومتى تعالى فوق الضباب الكثيف وبلغ الهواء النقي أبصر الشمس في كل جلائها — هكذا فان النفس كساؤها الروحاني ولئن كان خفياً عن نظرنا لتناهي لطافته الا انه في نظر النفس مادة غليظة تعوقها عن شعور كثير فهذا الكساء يزداد دقة ولطافة على قدر ترقي الروح الادبي لان نقائص النفس كطبقات ضبابية تحجب نظرها عن رؤية النور ـ اما الارواح الناقصة فلا تشاهد الله لانها محجوبة عن رؤيته بنقص الاستعداد فيها لذلك

— ٥ —

الخير والشر

يقول فيلسوف اليونان الكبير ارسطو « ليس في العالم شيء هو خير بذاته ، ولا شيء هو شر بذاته ، بل بالوضع ، وقد ينقلب الخير شراً ، والشر خيراً ، فلا تكون هنالك حقيقة »

نقول : فالرأي عنده أن الخير والشر - نسبيان - وأن كل واحد منهما انما يعتبر خيراً أو شراً - بالنسبة للمكان وللزمان والاحوال التي تحوطه وليس هذا يبالغ بنا الى ما نصبو اليه - وانما نحن نريد ان نتمشى مع اصحاب المذهب المادي في القول بالخير والشر والثواب والعقاب ، وفي الكلام على المسئولية وتوقيع العقوبة ، فنقول انهم يتساءلون : اذا كان الشر نتيجة نقائص في الانسان فلماذا خلقه الله ناقصاً ؟ اما كان في وسعه جلت قدرته - ان يبدعه كاملا فينتفي بذلك الشر وينمحي وجوده من على الارض ؟

ونقول : ليس بغريب ولا بعيد ان نسمي الشر - عدم الخير - . فنقول ان عدم وجود الخير انما هو وجود للشر - وامتناع الخير من مكان انما هو اطلاق لدواعي الشر - كما نطلق مثلا البرد على عدم وجود الحرارة - فاذا وجدت الحرارة انعدمت البرودة

والله هو الخير المحض - فهو لا يريد الا الخير . اما الشر فمصدره الانسان. قالوا : ولماذا لا يكون الشر اثراً من آثار الطبيعة ، ونتيجة لازمة لها ؟ قلنا : وهذا بعيد غير معقول ولا مقبول . لانه لو كان الشر من نتائج الطبيعة لما امكن الانسان ، مهما حاول ان يتجنبه ونحن نعلم - علم اليقين - ان الانسان بما فيه من مواهب واستعدادات يستطيع ان يحول الشر ويتفاداه ويقاومه - ويجد له مخرجاً ومفازة للنجاة من هلكته

وانما الوجه في ذلك والصواب المعقول ان الانسان هو الذي يخلق الشر ، وأنه مبعث المفاسد ، وموئل الرذائل ، ومصدر الظلم بحسب اتصافه به وظهوره منه .

اما ان يخلق الله جلت حكمته - الناس كاملين خيرين بعيدين عن كل نقيصة - فانما هذا لا يكون مع الحكمة الآلهية العالية - وليس ما يساكن وجداننا ، ويلازم افكارنا من فكرات « وشطحات » ليس هذا من الحكمة في قليل ولا كثير . وانما اراد الله بحكمته وعظمته وتدبيره - ان لا يعطي المخلوق الكمال مجاناً وجزافاً - ولو فعل سبحانه

وتعالى ـ لما استطاع الانسان ان يقدر هذه النعمة حق قدرها ـ ولا وجد فيها لذة صحيحة ممتعة

فكما انك لا تستطيع ان تقدر الصحة حق قدرها ، وتعرف لها قيمتها ـ والصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى ـ فكذلك ايضاً انت غير قادر على تقدير قدر هذه النعمة ـ نعمة الكمال ـ الا بالكد والجد والنشاط للعمل

بل لو كان المولى جل شأنه قد وهبنا الكمال بادىء بدء وتركنا في كمالنا على هذه الحال ـ اذن لتعطلت الحياة ، ووقفت الحركة العامة الناتجة عن ترقي العوالم والكائنات وأصبح هذا الكون خاثراً باثراً ـ لا حركة فيه ولا حياة

وانما اراد الله تعالى ـ بحكمته ـ ولطفه ان تكتسب النفس كمالها بجدها وعملها ـ وأطلق لها حرية مخيرة تميز بين الخير والشر وتدرك غايتها بسعيها وجدها وكدها

هذه حكمة المولى ـ ونحن ما زلنا في هذه الحياة نتلمس الحقيقة من منابع العلم ومناهله



- ٦ -

حقائق الاشياء

انتهى بنا الحديث في الكلمة السابقة عند حد القول بأن لله حكمة في خلق المخلوقات ناقصة انفسهم ، محتاجة ارواحهم الى الكمال بالجد والعمل والكد، وقلنا ان الله جلت قدرته لو كان قد خلق المخلوقات كاملة تامة لا يعوزها الجد والنشاط والعمل لادراك كمالاتها - لما كنا نشعر بلذة الحياة الابدية والسعادة الحقيقية . انظر كيف تعيش طوال حياتك والصحة تلابسك والعافية تحدوك - ولكنك - لا تقدر هذه الصحة قدرها ولا تحس بلذة هذه العافية الا بعد ان تذوق الم المرض .

ولقد يخامر بعض الناس الشك في حكمة الخالق جل وعلا - اذ يولون وجوههم شطر عالم الحيوان وما ينتابه من وحشية وفوضى وتسلط القوي على الضعيف واجتياح الشديد كل ما يقع عليه نظره من هزيل مسكين . هنالك حيث يقع ما يسمونه تنازع البقاء وبقاء الانسب

على انا قد أسلفنا القول - بأننا ننظر في حكمة المولى بعيوننا ونريدها ان تكون على اقيسة ادمغتنا - ولكن عقولنا الهيولانية هذه ضئيلة ضعيفة لا تقوى على ادراك كنه حكمة الخالق - واننا بحاجة الى حاسة اخرى غير الحواس التي الفناها واعتدناها، حاسة روحانية عالية تساعدنا على الوصول الى ادراك ذلك. فاذا نظر الانسان بعقله الضعيف الضئيل هذا الى ما في عالم الحيوان من تناحر للبقاء وتنازع على العيش وقتل القوي كل ضعيف تقذف به الظروف امامه ليقتات به وليحفظ كيانه هو من فريسته هذه . قال في نفسه وأين الحكمة الآلهية اذن في هذه الفوضى . وأين العدالة التي يدعونها ويترنمون بها . نقول : والرأي عندنا اننا نعيش مع الوهم في كل ما يعتورنا في هذه الحياة وفي انظمتنا وأقيستنا ومعلوماتنا ومعارفنا، نقول : اننا في كل ذلك نعيش مع الوهم والوجدان اكثر مما نعيش بالتحقيق والعقل ، فان القوة الواهمة غالبة علينا ، وان تيار الوجدان متحكم فينا. يقع نظرنا على انسان يذبح طيراً او كبشاً فيجسم لنا الخيال ما يكون لهذا الحيوان من شديد الالم وبالغ الشقاء والرأي عند بعض الفلاسفة ان الذبح لا يؤلم ابداً لان الذبيح يؤخذ فينسى نفسه

يقول ولّس في حالة الذبح وفي حالة شعور الذبيح أنه احساس بالدفء . نوم عميق . نسيان ابدي

يقول بعضهم كيف يمكن لخير حقيقي ان ينشأ من شر ظاهر ، نقول . وانما مدار اللائمة ومستقر المذمة ، انا مع ما نحسه من نقص فينا نريد ان نحاول معالجة كل ما يقع بخاطرنا من فكر وتخيلات . اننا نفكر . فنحن احياء بالروح والجسد ، وما هي الروح وما هو الجسد. نسبة الروح للجسد. كنسبة الجسد للثوب الذي يعلوه. وانما هذا الجسد كثياب او كدثار ـ ندثره او نلبسه من وقت الى وقت.فاذا انقضت هذه الفترة خلعنا هذا الجسد كما نخلع الثوب اذا رث وخلق. ليست ثمت قيمة لهذا الجسد ابداً. وانما القيمة الحقيقية والماهية الشخصية انما تقوم بالروح . وهو الجوهر الحقيقي للحياة تلك الروح السابقة واللاحقة للجسد . فماذا تكون اهمية ثوب تلبسه ثم تخلعه بعد حين ؟ الا اننا في حياتنا المادية نغلو في التعلق بالماديات ونعيش مع الخيال والوهم ونخشى الموت والموت ان هو الاخلع هذا الرداء المادي وخروج الروح من حبسها ، وانطلاقها في العالم الروحاني الذي استعدت له وسرورها بهذا الفراق وهذا الانطلاق كسرور الطير حبسته في قفص ردحاً من الزمن ثم فتحت له باب القفص فتنفس الصعداء وخرج يحلق في الفضاء فلا خوف من الموت ولا جزع من الفراق ، وانما من وراء ذلك ، الحياة الحقة والسعادة الابدية



— ٧ —

الأرض بالنسبة للوجود الكلي

العلم — هو الصورة الماثلة من الشيء عند العقل . وهو قسمان (١) تصديقي (٢) وتصوري.(١) فان كان ادراكاً للنسبة التقريبية على سبيل الاذعان فتصديق (٢)وغير ذلك تصور . والعامة من الخلق ،والكافةمن اهل كل جيل يأتيهم العلم من تلك الناحية او عن طريق النوع الاول - أي من طريق الاذعان والتصديق - وأما الخاصة من الناس فيأتيهم ذلك عن طريق التصور والتأمل والتفكر . ولنتبسط في الحديث قليلا ، ونلمع بالكلام الماعاً لنطالع القارىء على شيء من عظمة الكون ، وندله على ان عالمنا هذا الذي نعيش عليه - إن هو إلا - كحبة طافية في محيط الوجود المطلق فنقول :

اذا سألت صبياً او جاهلاً عن الدنيا ماهي؟ اجابك على التو - أنها مصر - هذا البلد الذي نعيش فيه . ولو انك وجهت السؤال هذا الى رجل عادي ممن له المام بشيء من اخبار العالم اصور لك الدنيا بأنها مصر ولندن وباريس وأوربا - وهكذا كلما ساءلت انساناً ارقى زادك علماً بشيء اكثر ، وتوسع في تعريف العالم - فالعالم عندنا والدنيا عند الخلق صورة تقريبية تتسق مع ماهيتنا الادراكية .وتتناسب مع مبلغ علمنا وماحصلناه من معرفة وكلما كان الموجود عظيما كان الموجد اعظم وموجد هذا الوجود لابد له من اربعة امور وهي (١) الوجود . إذ لابد ان يكون موجوداً (٢) والقدرة . إذ لابد ان يكون قادراً على ايجاد هذا الوجود(٣) والعلم . إذ لابد ان يكون عالماً بما يصنع (٤)والارادة . إذ لابد ان يكون قد صنع هذا بارادة واحكام وتدبر هذا هو الواجب الوجود مطلقاً

ولقد يؤمن المؤمن بقدرة الله التي لاحد لها ويعلم ان من حق ايمانه انه يؤمن بالقدرة اللانهائية لواجب الوجود مطلقاً . وانما يكون ذلك من طريق الوجدان.ولقد يتأمل المتأمل ، ويفكر العالم .فيضل بعقله ويشذ بعلمه . فالاول آمن مطمئن النفس مرتاح البال ، طيب الحال اما الآخر فقد يشقى بعقله وقد يضل بعلمه

نقول : ولقد كانت ابحاث الفلسفة قديماً مقسمة الى قسمين اثنين نظري وعملي . والنظري ينقسم الى طبيعيات ورياضيات وآلهيات

والعملي اما ان يتناول اعمال الانسان وأحواله ، ويسمى علم الاخلاق واما ان يتناول الانسان — هو وأهل بيته — ويسمى — تدبير المنزل . واما ان يتناول الانسان مع اهل مدينته — ويسمى علم السياسة

فالذين يريدون ان يصلوا الى الحقيقة من طريق العلم والعقل — لابد لهم من دراسة هذه العلوم — ثم اتباعها بالعلوم المحدثة والفروع الكثيرة . والعلم خاضع لناموس التطور والارتقاء — كغيره من الاشياء — وكل يوم يتدرج صوب الكمال النسبي خطوة — وهو مع ذلك — ومع ماقطعه وعبره من عمره الطويل . لايزال في مهده . سيقولون لقد اخترع المخترعون . واستكشف المستكشفون فأشرقت الارض بنور ربها وزها العلم وترعرع، فغاص الانسان عباب الماء، وحلق في الفضاء، وسخر الهواء . فما بعد ذلك من علم ، وما وراء ذلك من مدنية . سيقولون ان انسان الزمن الغابر لو انه اتيح له ان يبعث فوقع نظره على ما وصلت اليه حضارة اليوم ومدنية العصر الحاضر لظن ان هذه الارض قد صارت جنة النعيم . فصارت أحرى بالملائكة تسكنها لا بالانسان الذي لايزال يظلم ويعيث في الارض فساداً

اما نحن فلا نزال نعتقد اننا مازلنا نعيش في حجرة مظلمة ملأى بما نرتطم فيه من اشياء نظنها حقائق ، وهي بعد خاضعة لناموس التطور والتحول . بين تغيير وتبديل ، انظر الى ما احدثه استكشاف الراديوم من تغيير وتبديل في جو المعارف ، ثم انظر الى ما احدثته نظرية النسبية للعلامة « اينشتين » . وما كان متغلغلا في ادمغة الناس ، مرتكزاً في فطرهم قبل ان ينادي غاليلي بما نادى به . واحكم على قيمة الحقائق العلمية ومقدار ثباتها

لقد كانت المعرفة محصورة في دائرة ضيقة وكان العلم في نطاق محدود، ثم انفرجت زاوية العلم شيئاً فشيئاً حتى بلغت مبلغها من السعة وسنعالج البحث في مكانة الارض من الوجود، وما فيه من عوالم في المقال التالي

— ٨ —

حول الكون

قلنا في غير هذه الكلمة انه كلما كان المصنوع اتم واتقن وأهم وأعظم كان الصانع أعظم وأقدر على الصنع والابداع ، والآن نريد ان نعاود الكتابة ونعالج الموضوع من هذه الناحية ـ ناحية عظمة الكون ـ لنكون على شيء من العلم بهذه العظمة فنقول : ان المعلوم لنا ان الارض كبيرة جداً وانها هائلة عظيمة بيد انها حيال عظمة الكون لا تذكر في مقدمة ولا ساقة ، ولدى التحقيق العلمي ، على قول بعضهم ـ ليست بالشيء الذي يذكر الى جانب العوالم التي لا يقع عليها حد ولا حصر ـ تلك العوالم التي لا أول لها يعرف ، ولا آخر يوصف :

نقول ان محيط الكرة الارضية يبلغ ٢٣٧٠٠ ميل وانها تبعد عن الشمس بمقدار ٩٢٠٠٠٠٠٠ ميل تقريباً . وان النور يقطع مسافة البعد بين الاثنين في ٨ دقائق

نقول: ولعلك آنست في الجو ـ وفي ليلة صافية خالية من السحاب ـ شيئاً كأنه سائل لبني اوكأنه تبن ـ اذا كنت رأيت ذلك في ليلة صافية فانه المجرة ويسمونها طريق التبانه ويطلق عليها الانكليز اسم ـ الطريق اللبني . أما أصحاب الدين فيسمونها أبواب السماء وشمسنا واحدة من شموسها ـ وانت تراها رأي العين ـ تعترض الجو من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي

نقول : ولقد تطورت العلوم ، واتسعت دائرة المعارف ، وانفرجت زاوية الفكر ـ فزاد ذلك البصيص الضئيل من النور العلمي الذي يضيء جواً نعيش فيه ، ونحضر مواقفه . ذلك بان علم الفلك قد تقدم تقدماً حثيثاً بفضل المخترعات والاستكشافات ، وبفضل ما أيده به العلم من المعدات التي تساعده على نيل حظه في المعرفة والبحث

ولقد كان المعلوم المعروف الذي يلقنه الاساتذة لطلاب العلم في معاهد العلم من اربعين سنة خلت ان الشموس التي وصل العلم الى معرفتها في تلك المجرة ـ لا تزيد على ١٨ مليون شمس . اما الآن ـ وفي هذا العصر ـ فقد عرف العلم من الشموس ما يبلغ ٢٤٢ مليون شمس .

هذا عدد ما وصلت اليه المعرفة وما بلغه العلم من حيث الشموس ، وقد يزداد

الاختراع وتزداد معرفة الانسان فتظهر الشموس وشموس أخرى غيرها كما ظهرت في الماضي ـ وقد يكون لكل شمس من هذه الشموس سيارات وتوابع .

يقول الدكتور « هيل » انه رأى في الواح التصوير المتصلة بالتلسكوب الاكبر البالغ قطر مرآته ١٠٠ بوصه ـ نحو الف الف سديم ـ يبلغ بعدها عنا (١٤٠) مليون سنة ـ ولقد اسلفنا القول بأن نور الشمس يصل الى ارضنا أو يقطع المسافة الواقعة بين ـ الشمس والارض في ٨ دقائق و ١٨ ثانية ـ وهذه المسافة يقطعها قطار السكة الحديدية في نحو ٣٦٥ سنة ـ وتقطعها قلة المدفع في نحو ١٢ سنة .

على ان هذه السدم منثورة في الفضاء الشاسع ـ منتشرة على ابعاد بعيدة جداً ـ يبلغ البعد بين الواحد والآخر منها نحو ٠٠٠ و ٨٠٠ و ١ سنة نورية ـ وفي كل سديم منها مادة تكفي لتكوين مليون شمس مثل شمسنا ـ ومعلوم ان الشمس ـ واحدة من شموس المجرة ـ وان المجرة نفسها سديم من السدم .

فهل لنا آذان نسمع بها ، وهل لنا قلوب نفقه بها ونقدر هذه العظمة ؟ ؟

هذه لمعه مما نرغب في سرده من عظمة الكون ، وسنردفها بغيرها من الكلمات التي نتبسط فيها ونستزيد من هذا الموضوع ـ حتى يعلم الذين فى قلوبهم مرض وعليها غاف ـ ان عظمة الخالق جل شأنه أجل واعظم من ان تحد او تعلم وانما نحن نحاول ان نقرب الى الافهام ما عساه يقع لنا بهذه العقول الهيولانية الضعيفة والله ولي التوفيق



٩

عظمة الكون

مما اسلفنا القول فيه يتبين للقارىء ان للكون عظمة لا يقدرها ذلك العقل الهيولاني الضعيف مهما حاول ، ومهما أوتي من قوة وتفوق ، على انا نعاود الكلام في عظمة الكون فنقول

انا نعلم ان محيط الارض ٢٤٠٠٠ ميل ، فاذا أتيح لانسان ان يقطع هذه المسافة براً بالسكة الحديد ، وبحراً بالسفن البخارية ـ وكان متوسط سفره ٨٠٠ ميل في كل يوم ـ فانه لايستطيع ان يدور حول الارض في اقل من شهر كامل

وهذه عظمة لا ينكرها إلا جاحد ، او مكابر ، او مهاتر ، ولكنها عظمة ضئيلة حقيرة صغيرة . الى جانب عظمة الكون . ذلك بانها اصغر من الشمس . التي ترمقها في السماء كأنها قرص قطره شبر . فان قطر الشمس الحقيقي يبلغ ٨٦٦٠٠٠ميل اذن فحجمها على هذا القياس اكبر من حجم الارض بنحو ١٣٣١٠٠٠ مرة واذن فجرمها اكبر من جرم الارض بنحو ٣٣٣٤٣٠ مرة

على حين ان هذه الشمس على ماهي عليه من عظمة كبرى اصغر بما لا يقاس من اكثر النجوم التي نلمحها في السماء متلألئة . وان من هذه النجوم ما نسبته الى شمسنا كنسبة شمسنا الى ارضنا التي نعيش عليها او اكثر

وطالما كنا نسمع ان عدد النجوم التي نراها بابصارنا في السماء كعدد الحصى او الرمل . مبالغة في القول ودليلا على انها لا يقع عليها حصر . ولكننا نعلم ان هذه النجوم التي نراها بالعين المجردة قد بلغ ٦٠٠٠ أما عدد النجوم التي نراها بالمجاهر والمقربات والمكبرات . والتي تظهر بالتصوير الشمسي فقد بلغ نحو ٢٢٤ مليون نجم وكلها تابعة للنظام الذي يطلق عليه المجرة

وانت ترى هذه النجوم كأنها منضدة بعضها الى جانب بعض متقاربة سيما في المجرة على حين انها بعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً ، فاذا كنا نراها يتقارب بعضها من بعض فانما يكون ذلك لاننا لا نبصر الصفوف الامامية منها فقط بل ما بعده وبعده الخ

* * *

والآن لنتخذ الشمس مركزاً ولنرسم حولها كرة قطرها الفا سنة نورية فاذا اتسق لنا ذلك كانت هذه الكرة شاملة جميع الكواكب التي نراها بالعين المجردة اما اذا وسعنا هذه الكرة حتى يصير قطرها ٢٥٠٠٠ سنة نورية فان ذلك النطاق يشمل كل الكواكب الواقعة في نظام المجرة . والمجرة هذه تشبه حبة عدس قطرها الف سنة نورية أما المسافة التي بين وجهيها عند مركزها فهي عشرة آلاف سنة نورية وخارج هذه المجره عالمان آخران في غيوم (مجلان) يبعدان نحو ٢٠٠ الف سنة نورية ثم على مئه الف سنة نورية تجد السد بين الكوكبين في المرأة المسلسلة وكوكبة المثلث وكل منهما طوله الاطول نحو ٥٠ الف سنة نورية وهو طول قطر المجرة

على حين ان هذه المجرة ومافيها من ابعاد شاسعة واسعة عالم ضيق جداً من عوالم كثيرة جداً لايقع عليها حد ولاحصر ومايعلم مافيها الا عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال

ان هناك مجاميع من النجوم متسقة منظمة مترامية ـ وكل مجموعة منها ـ فيها نجوم كنجوم المجرة ـ وكلها منثورة في الفضاء الواسع

اما المرأة المسلسلة هذه التي اسلفنا القول فيها ـ فقد وجدها العلماء تبعد مليون سنة نورية وقطرها نحو خمسين الف سنة وفيها الوف الملايين من النجوم اكثرها لايمكن رؤيته اما الكواكب التي نراها فيها فتزيد آلاف الاضعاف على شمسنا من حيث النور واللمعان آية ذلك اننا لو اقصينا الشمس مسافة مليون سنة نورية لما امكن رسمها بالمصور الشمسي . اما هذه البعيدة عنا هذا البعد الشاسع فانها ترسم . فاذا كانت شمسنا بالنسبة للكواكب التي عرفت صغيرة ضئيلة واذا كان ضوءها ضئيلا واذا كانت المجرة تشمل الملايين من الشموس واذا كانت هنالك مجرات بعضها بعد بعض لايقع عليها حد ولايحصرها حصر واذا كانت تلك المجرات فيها كواكب مثلها او اكثر منها وهي اضوأ ثم اضوأ ثم اضوأ فهل بعد هذا قول لقائل او اعتراض لمعترض على عظمة الكون (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) فعلمنا قليل كقلة ارضنا ومعرفتنا ضئيلة كضؤولة ارضنا بالنسبة لشمسنا وشمسنا بالنسبة لمجرتنا ومجرتنا بالنسبة لغيرها من المجرات ولقد يئس جبابرة العقول ان يعرفوا لهذه العوالم نهاية

— ١٠ —

في السدم

انتهى بنا الكلام في ما اسلفنا من قول ـ عند حد المجرات ،ونظامها ، وكثرة عددها أنها كثيرة ، لا تقع تحت حصر. ولقد تبين للدكتور « هيل » من رصد السدم ، انها تتدرج نظاماً تدرجاً عجيباً يدل على انها جارية مع ناموس النشوء والتدرج ، وهو يرى ان السدم متساوية تساويا تقريبيا ـ من حيث مادتها ـ ومن حيث الابعاد التي تقع بين سديم وسديم ، ويرى أيضاً ان البعد بين كل سديم والذي يليه ١٨٠٠٠٠٠ سنة نوريه ـ من أجل ذلك نشأت عند العلماء فكرة مؤداها ان الراجح ان تكون السدم جميعها تولدت من سديم واحد في غاية اللطف

يقول الدكتور « هيل » انه وجد حسابياً ـ انه إذا انتشرت مادة السدام كلها في الفضاء ـ صار ثقلها النوعي بالنسبة للماء جزءاً من الف وخمسمائة مليون مليون مليون مليون مليون جزء

يقول أحد العلماء : انه اذا ثبت من رصد السدام ان السديم الذي نظامنا الشمسي جزء منه ـ وهو سديم المجرة ارقى من غيره من انظمة شموس المجره ، وان الارض ارقى من غيرها من سيارات الشمس فتكون ارضنا أرقى جرم من اجرام الكون ـ وان كل ما حدث من الارتقاء في ملايين ملايين السنين التي قطعتها الارض من تاريخ حياتها ـ انما كان تمهيداً لوجود انسان عاقل ـ ذلك الانسان الذى ارتقى وسما بعضه هذا الرقي العجيب

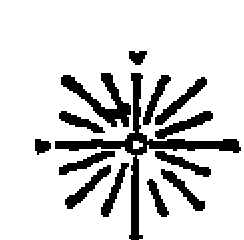
على حين انا اذا رمنا ان نقيس الابعاد الشاسعة الواقعة بين الاجرام ـ بعضها والبعض الآخر ـ فأننا لا نستطيع ان نقوم بذلك بواسطة مقاييسنا التي الفناها واعتدنا استعمالها في المساحات والمسافات ، لبعدها وعدم امكاننا العمل بتلك الاقيسة التي بين ايدينا ذلك لان هذه المسافات اكبر واطول من المسافة الواقعة بين شمسنا وارضنا ـ فأن «الفا قنطوروس» وهو أقرب كوكب الى النظام الشمسي ـ يبعد عن الارض ثلاثمائة الف ضعف بعد الارض عن الشمس ـ لذلك كان شأنهم في ذلك وفي قياس المسافات الشاسعة هذه ان اصطلحوا على السنة النورية لقياس ما بين الكواكب بعضها والبعض الآخر ـ

من مسافة هي عبا ة عما يقطعه النور في سنة كاملة . اما النور كما يقول بذلك الاستاذ المحقق « ميكلصن » فانه يسير بسرعة ١٨٦١٧٣ ميلا في الثانية الواحدة وهاك بعد الكواكب عن الارض بالنسبة النورية السنوية :

الفا قنطوروس ثلاث سنين نورية
الشعري عشر « «
نجم القطب مائتي سنة «
سديم الجبار خمسمائة « الخ

والسنة النورية هذه التي نراها مقياساً هائلا كبيراً لا تكفي اذا اردنا ان نقيس المسافات الواقعة بين جماع الاكوان التي تشبه الجزر في بحر الفضاء بعضها والبعض الآخر — حيال ذلك لا نجد مندوحة من استعمال « الف سنة نورية » لقصر السنة النورية ولانها لا تسد الحاجة المطلوبة ، وحتى الف السنة النورية في بعض المقاييس وعند بعض المسافات — تقصر — فنضطر الى اتخاذ المليون السنة« النورية » — وحدة مقياس المسافات الواقعة بين الكواكب او جماع النجوم بعضها والبعض الآخر . ذلك بأن القنوان الكروية في غيوم مجلان تبعد عنا مئة الف سنة نوريه وجماع النجوم المعروفة علمياً بـ N G.C يبعد سبعماية الف سنة نورية — والسديم اللولبي في المرأة المساسلة يبعد عنا مليون سنه نورية — وقطره خمسون الف سنة نورية وفيه ملايين بل آلاف الملايين من النجوم

الارصاد — ولقد دلت الارصاد التي عالجها الاستاذ « بول » في مرصد جبل «ولسن » معتمداً فيها على السبكترسكوب » على انسديم المرأة المسلسلة يقترب منا بسرعه مئتي ميل في الثانية وان غيوم ماجلان تبتعد عنا بسرعة ١٧٠ ميلا في الثانيه. وان اكثر السدم اللولبية الاخرى تبتعد عنا بسرعة مئات الاميال في الثانية اسرعها سديم لولبي يبتعد عنا بسرعة ١١٠٠ ميل في الثانية



— ١١ —

في المجرة

الرأي عند علماء الهيئة ـ ان الوحدة الاولى في هذا النظام الكونى ـ النجم ـ وما هو هذا الشيء الذي سميناه نجما ؟ ان هو الا كرة من الغاز المتقد متغاير الحجم ـ فقد لا يفوق الارض حجما وقد يفوق الشمس باكثر من الف ضعف

والكون ـ ماهو؟ان الوحدة الاولى للنظام الكوني هي النجم ومن النجوم مايقل حجمه عن حجم الارض ـ ومنها ما يزيد حجمه على حجم الشمس بمقدار الف ضعف او يزيد كثيراً . اما كثافة مادة النجوم فتختلف باختلاف هذه النجوم ـ فمنها ما تكون الكثافة فيه ـ بمقدار كثافة الهواء ـ ومنها ما تكون الكثافة فيه زائدة على كثافة الماء مقدار خمسين الف ضعف . اما الوحدة الثانية فهي الكون يقولون ان الكون فراغ ـ وهو قول لابأس به ـ ذلك بأن ذلك النظام العجيب ـ نظام المجرة ـ يشمل فضاء واسعاً شاسعاً ـ منتثر فيه ما يعد بخمسين الف مايون نجم . ونظامنا الشمسي جزء من هذا النظام ـ وهذا النظام يطلق عليه العلماء اسم الكون .

اما شكل المجرة فعدسى (كحبة العدس) طول قطرها خمسون الف سنة نورية ـ وعرضها اي المسافة الواقعة بين جهتيها عند مركزها يساوي عشرة آلاف سنة نورية وخرج من هذا الكون ـ كونان آخران في غيوم ماجلان ـ على بعد مايقي سنة نورية ـ ثم ان هناك كوناً آخر يبعد مليون سنة نورية (السد بين اللولبين) في المرأة المسلسلة وكوكبة المثلث وكل منهما طوله الاطول ٥٠ الف سنة نوريه اي طول قطر المجرة

ويرى العلماء ان الاكوان منثرة منتشرة في الفضاء انتشار الجزر في البحار ـ مثلها مثل الارخبيل ـ هذا رأي بعض العلماء الآن ـ وبعد ماوصل اليه الانسان من استكشافات ومخترعات ولايبعد ان يكشف لنا المستقبل عن أكوان أخرى لها نظام أعجب وأغرب من نظام الاكوان المعروفة لنا ـ على ان غاليلي المعروف يرى رأيا آخر في ذلك نحن موردوه لك فيما بعد

نقول ـ وقد نشط العقل البشري في العهد الاخير نشاطاً كبيراً وعمد الفكر الانساني الى الابحاث القيمة الناضجة فكان من أثر ذلك ان زادت الثروة العلمية واتسع

نطاق البحث انظر كيف تهيأ الانسان ان يقوي التاسكوب فى اواخر القرن التاسع عشر ففي سنة ١٨٨٤ نصب تليسكوب المرصد الامبراطوري في باسكوفا بروسيا وقطر عدسيته ٣٠ بوصة

وفي سنة ١٨٨٨ ـ نصب تليسكوب مرصد « لك » وقطر عدسيته ٣٦ بوصه

وفي سنة ١٨٩٧ نصب تليسكوب مرصد بريكيس وقطر عدسيته أربعون بوصة

انظر كيف ادخل الانسان تحسينات كثيرة على السكترسكوب واستعيض عن الموشور بالزجاجة المسطرة. فعمت الفائدة وزاد النفع في قياس حركة النجوم الشعاعية وفي سرعة هذه عند خط النظر

ثم ابتداع الاساليب الفوتوغرافية وكيفية استعمالها في تصوير الاجرام السماوية وما الى ذلك من الاستكشافات والمخترعات التي عاونت وساعدت في ظهور هذه الاكوان الدالة على ما للقادر الحكيم من حكمة وقدرة وعلم وارادة تفوق الحد والحصر



— ١٢ —

النجوم

اسلفنا الكلام في عظمة الكون فوصلنا الى حد الكلام على النجوم ، والكون وها نحن اولاء نستطرد الحديث ونتابع القول فنقول:

ولقد تهيأ للفلكي الشهير ، والعلامة الكبير « هجنس » أن يستعمل السبكترسكوب عام ١٨٦٣ ونجح في تحليل النور المنبعث من النجوم ـ حتى اذا تهيأت له المعرفة المبتغاة وتحقق من تحليل هذا النوع التحقيقي أمكنه ان يعرف بعد هذه النجوم ، ودرجة حرارتها الناشئة من سطحها. ذلك بانه اذا تأكدنا من معرفة حرارة نجم من النجوم ـ تم لنا أن نعرف مقدار ماينبعث من الحرارة ـ من كل بوصة مربعة ـ من سطح النجم ذلك شأنهم في هذه السبيل ـ وهم يقولون مثلا : ان كل بوصة مربعة من سطح الشمس تعطي من الحرارة في الدقيقة الواحدة ـ ما يسخن ٣٦٠ الف كيلو جرام من الماء ـ درجة من درجات سنتجراد ـ وهذا المقدار يحرك آلة بخارية قوتها خمسون حصاناً . على حين ان الفلكيين يقولون بان ما وصل اليه علمهم ، وما انتجته بحوثهم وتجاريبهم ـ يدلهم على ان الشمس هذه ليست هي اشد النجوم أو الكواكب حرارة وهناك ما تكون حرارته أكثر من الشمس بمقدار الف مرة ـ ومعنى ذلك ان ما ينبعث من الحرارة ـ ومن كل بوصة من سطح هاته النجوم الهائلة الشديدة الحرارة ـ في الدقيقة الواحدة ـ حرارة تسخن ٣٦٠٠ مليون كيلو جرام من الماء وقس على ذلك ! . فاذا تهيأ لنا ان نعرف مقدار الحرارة التي تحدثها كل بوصة مربعة من سطح نجم من النجوم ـ سافنا ذلك الى معرفة ـ درجة اشراقه ومسافة بعده ـ وقطر النجم وحجمه . آية ذلك ان قطر النجم المعروف باسم منكب الجوزاء ـ ٣٠٠ قطر مثل قطر شمسنا فحجمه يسع ٩ ملايين شمس مثل شمسنا . وان قطر النجم الصغير التابع للشعرى نحو ٢٦ الف ميل ـ ولقد تحقق ذلك من قانون النسبية ومن القياس بآلة ميكلسن

قالوا: وانما يلزم مما يحدثنا به العلم أن تكون النجوم كلما اشتدت حرارتها ـ كان هذا يدل على ما فيها من كهارب وقوى ـ وان حركتها سريعة سرعة دقائق الغاز ويكون

غلبة حركتها السريعة هذه على ما تكون به الجواهر الفردة من قوة الجذب الكهربائي وان كانت حركتها اقل سرعة مما هي عليه ـ فتجمع الجواهر وتصبح دقائق .
وفي سنة ١٦٤٤ قال ديكارت ان الشمس والنجوم الثوابت انها تتألف من مادة متحركة حركة سريعة تجعلها من الشدة والسرعة تتجزأ اجزاء صغيرة الى اصغر ما يمكن

وفي سنة ١٩٠٧ قال الاستاذ « امون » ان الشمس والنجوم غازات في حالة توازن مثلها مثل الطبقات السفلى ـ لانا نجد في الهواء مجاري كافية لحفظ غازاته في حالة امتزاج وتماسك

ولقد رأى العلماء انهم اذا رتبوا النجوم على حسب ما تعطي من الاشعة ونسبته الى مادتها فانهم يجدون ان ترتيبها لا ينطبق على حرارتها ـ ولا على كثافتها بل قد ينطبق على عمرها فاحدثها عمراً ـ اشدها اضاءة بصرف النظر عن حرارة باطنها ـ مثلها مثل الانسان اذا شاخ وتقدم في السن . وهاك بياناً ببعضها

النجم بلا ـكرت ـ درجة القوة ١٠٠٠ ودرجة الحرارة في الباطن ٥٠٠٠٠٠ وكثافة البطن شديدة جداً والعمر بالمليون اقل من ١٠٠٠٠

النجم بوس ـ درجة القوة ٦٤٠ ودرجة الحرارة في الباطن ٣٠٠٠٠٠٠٠ وكثافة الباطن اكثر منماية والعمر بالمليون اقل من ١٠٠٠٠٠

النجم قلب العقرب ـ درجة القوة ٣٢٠ ودرجة الحرارة في الباطن ١٠٠٠٠٠٠ وكثافة الباطن ٥ والعمر بالمليون اقل من ١٠٠٠٠٠

النجم العيوق ـ درجة القوة ٥٠ ودرجة الحرارة في الباطن ٨٠٠٠٠٠٠ و كثافة الباطن ٥٠٠ والعمر بالمليون اقل من ١٠٠٠٠٠

النجم الشعري ـ درجة القوة ٢١ ودرجة الحرارة في الباطن ١٥٠٠٠٠٠٠ وكثافة الباطن ١ والعمر بالمليون اقل من ١٠٠٠٠٠

الشمس ـ درجة القوة ١٫٨٨ ودرجة الحرارة في الباطن ٧٠٠٠٠٠٠ وكثافة الباطن ٧٠٠٠٠٠٠ والعمر بالمليون اقل من ١٠٠٠٠

تابع الشعري ـ درجة القوة ٣ ودرجة الحرارة في الباطن مجهولة وكثافة الباطن ٣٠٠٠٠٫٠٠٠ والعمر بالمليون قليل جداً

وانت تجد ان كثافة باطن الشعري الف وتابع الشعري ٣٠ الف وهو ما يدل على صدق ما ذهبوا اليه من القول بان العمر هو العامل الوحيد في درجة الحرارة

— ١٣ —

مسألة الارواح

انتهينا من سرد بعض ماعن لنا سرده ـ من فكر العلماء من اصحاب الرأي وذوي المكانة واهل الفضل ـ وجئنا بلمع من كثير مما يدل على عظمة الكون وضؤولة ماهيتنا الادراكية ، وكوننا هذا ـ الى جانب حكمة الخالق (الواجب الوجود) مطلقاً

والآن ـ وقد وعدنا ان نأتي برأي العلامة غاليلي في عظمة الكون ، نريد ان نعالج ذلك مقدمين له مقدمة يتبين منها القاريء رأياً صحيحاً حيال المذهب الروحاني وحيال ما تبديه الارواح وتحدثه في هذا العالم ـ وهي في ما وراء المادة . وانما يكون هذا شأننا ـ لان غاليلي هذا ابدى رأيه بعد ان قبر ـ فقد استحضر روحه جماعة من علماء اوروبا الذين اذا قالوا اذعنا لقولهم. وسلمنا برأيهم ـ وسألوا الروح عن الوجود فكانت الاجابة مدهشة نحن ذاكروها بعد هذه المقدمة

فنقول : انا نحاول اقناع اولئك الذين يرتابون في مسألة الارواح . ولا يزالون في شك من تحضيرها وأعمالها ـ او هم ينكرون ويجحدون كل مالا يقع تحت حس. نأتي بذكر حادثة تذهب بمزاعم هؤلاء ، وبكل شك فى الارواح واعمالها ووجودها . تلك حادثة شارلس دكنز. وهى اعجب وأغرب ما صادفه المادئون في حياتهم من الادلة على بطلان معتقداتهم والبراهين القاطعة الناطقه بوجود الارواح وهاك هي

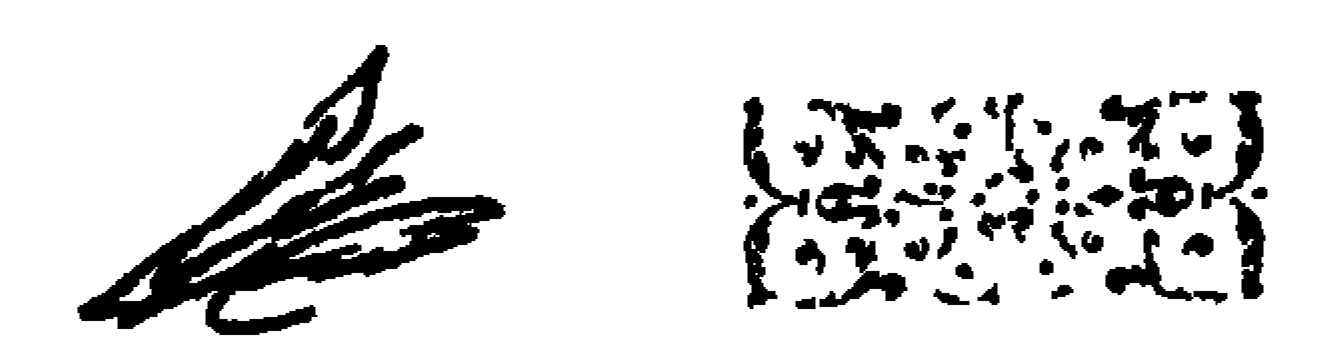
في سنة ١٨٧٣ نشرت الصحف في اوروبا وامريكا حكاية هذ الحادث وهو اول حادث من نوعه في عالم المذاهب . ذلك ان العلامة المؤلف الانكليزي الشهير ـ شارلس دكنز مات في مدينة لندن سنة ١٨٧٠ قبل ان يكمل آخر رواية له ـ اسرار ادوين درود ـ وقد اتفق انه وهو في عالم الارواح بعد موته أتمها على يد وسيط امريكي يدعى « جيمس » في مدينة بوسطن والحادث يتلخص في ان « جيمس » هذا كان غلاماً من الصناع ـ قليل العلم ـ كل همه ينحصر في اتقان حرفته والتبريز في صناعته ، وكانت له نزعة خيرة نمت بها الى المذهب الروحاني اقتادته الى حضور جلسة روحانية جمعت ثلة من جهابذة العلم وفحول التفكير سنة ١٨٧٢ . هنالك في تلك الجلسة التاريخية المشهورة تجلى روح دكنز» وابدى رغبته في اكمال الرواية المذكورة علي يد الوسيط

جيمس فكانت يد الوسيط تتحرك حركة غير عادية وبغير ارادة الوسيط تخط واضح هذه العبارة ـ انا شارلس دكنز ، انا اريد ان اتمم روايتي ـ اسرار ادوين درود ، اما العلماء الذين كانوا في هذه الجلسة فقد طلبوا من الغلام ان يستسلم للروح ويطاوعها في كل ما تطلب، فصدع هذا بالامر واستسلم للروح المتجلي واخذت يده تكتب بارادة « دكنز » ووحيه سبعة اشهر كاملة : كان الوسيط في خلالها . يجلس كل ليلة - الى المائدة نحو الساعة السابعة ـ حسب امر « دكنز » فيرى شبحه ، قد تجلى ووضع يده السيالة على يده ، فتتخدر هذه اليد ، يد الوسيط ، وتأخذ في تسطير ما يريده الروح تملأ الصفحات اقوالا لا علم للصبي بها .

ولقد استغرقت هذه العملية سبعة شهور . وملأت نحو الف ومئتي صحيفة

وكان يحضر هذه الجلسات رجال من العلماء والصحفيين ، الذين اجمع رأيهم على انه يستحيل على قاريء ما يسطره الوسيط بارادة دكنز ان يميز بين ما كتبه المؤلف الانكليزي قبل موته ، وبين ما خطته يد الوسيط « جيمس » بعد موته او ان يجد اقل اختلاف في الانشاء او في الخط ، او في الاسلوب ، والديباجة ، حتى ولا في بعض غلطات كان يقع فيها المؤلف الانكليزي الشهير هذا

نترك القاريء الكريم عند هذا الحد من الكلام في الارواح ، على ان نعود للكتابة في المقال التالي ، على رأي غاليلي في الوجود



— ١٤ —

في العالم

حيال هذا وحيال ما تحملنا له من رأي « غاليلي » في عظمة الكون — بعد ان فارق هذا العالم — وحيال ما جاءنا به هذا العلامة من القول بالفضاء واللانهاية وتحمله لآراء بعض العلماء في هذا السبيل — حيال كل ذلك وقبل ان نتعرض لما جاء به غاليلي وهو في عالم البقاء — لا نرى مندحة من عرض بعض الفكر والآراء لتبيان الموضوع هذا ، ولنظهر القراء على ما حدا غاليلي ان يقول هذا القول بعد ان ودع عالم الفناء ، وصار في عالم البقاء وظهر له ما عمي علينا فنقول

ان أمثال الفلاسفة القدماء — كالفارابي وابن سينا وابن رشد وابن الطفيل والرازي وأمثال هؤلاء ممن ضربوا في الفلسفة بسهم ، ومن الذين درسوا الفلسفة اليونانية ثم صبغوها بصبغة اسلامية . ان الفلاسفة القدماء هؤلاء قد اجمعوا امرهم — على ان هذا العالم محدود محصور ولهم في ذلك كلام طويل سنشرحه وادلة وهمية عرضوا لذكرها فأثبتوا بها ان الافلاك تسعة . منها سبع سموات — فيها السيارات الخمس والشمس والقمر — وفوقها فلك الكوكب — ثم الفلك الاطلسي الذي لا علائم فيه ، وهو محرك الافلاك كلها ، أما ماوراء هذا الفلك فيسمونه — لا خلا ولا ملا ، ولهم برهنة في ذلك وتدليل وانما يسمون برهانهم في ذلك — البرهان السلمي ا ب

فيقولون : لو اننا مددنا خطين وهما ساقا مثلث — مثل ا و ب امتدا الى غير نهاية — فهذا يستحيل — لأنهما اذا امتدا الى غير نهاية كان الخط الواصل بين هذين الساقين ممتداً ايضاً الى غير نهاية — فكيف يكون محصوراً بين خطين — وهو لا نهاية له ؟ اذن امتداد الساقين الى غير نهاية مستحيل — لان هذا الامتداد لزم منه امر مستحيل — وهو وجود خط محصور بين حاصرين — وهو بلا نهاية — وهو تهافت ... فاذن الخط له نهاية واذن يكون هذا العالم له نهاية ، وما الفراغ والخلاء الا ما كان مثل الذي بين بلدتين ، او حائطين او كوكبين . فاما ماهو فوق العالم — فليس يطلق عليه خلاء بل هو عدم صرف هذا ما كان يذهب اليه القدماء ، وهذا هو الذي

تعلمه غاليلي فى حياته الدنيا - ثم هو من بعد موته وانتقاله الى عالم الخلود ، اصبح يحتقر هذا الرأي

اذن – فالرأي الذي يلح به فى سياق حديثه — مذهب الفلسفة القديمة — التي نقلها العلماء عن فلسفة ابن رشد كما سنبينه بعد

واذن فروح غاليلي تقول لنا ان التعاريف التي جاءتكم بها مذاهب هؤلاء الفلاسفة مغالطة لانها تنكبت محجة الصواب – ذلك لان الفراغ الذي بعد العوالم المادية من الكرات السموية — كالفراغ الذي بين الكواكب فاخراجه من اسم الخلاء أو الفراغ مغالطة

هذا وسنذكر من أين نقلت هذه العلوم الى اوربا . ومن نقلها حتى وصلت الى غاليلي وهو فى حياته الدنيا – وحتى هو من بعد مفارقة هذه الحياة الدنيا — وبعد أن آنس ما آنس فى الحياة الاخرى صار يحتقر ما كان يجله ويعتقده

انتقال علوم العرب الى اوربا

نقول : ولقد هاجر اليهود من الاندلس الى بروفنسيا والاقاليم المتاخمة لجبال البيرينية فراراً من الاضطهاد — وخالطوا الفرنجة وكتبوا بالعبرية وتركوا العربية وذهبوا الى (لونل) فى فرنسا — وهم « أسرة طيبون » أصلها من الاندلس — وترجم اثنان منهم (موسى بن طيبون وصموئيل بن طيبون) تلاخيص ابن رشد في فلسفة ارسطو — فهذان هما اول من ترجم مؤلفات ابن رشد لاوروبا

نقول : ولقد كان الامبراطور (فردريك الثاني امبراطور المانيا) من محبي نشر الفلسفة ومن محالفي الاسلام والمسلمين على الاكليروس المسيحي فعهد الى بعض اليهود في ترجمة فسلفة العرب الى العبرية واللاتينية فألف يهوذا ابن سليمان كوهين الثلياني سنة ١٢٤٧ م . كتاباً سماه طلب الحكمة واعتمد فيه على ابن رشد — فهو اول كتاب لابن رشد ظهر بالعبرية . وقد ترجم له يهودي من بروفنسيا كان مقيماً فى تانيس هو يعقوب ابن ابي مريم ابن ابي شمشوم انتوني حوالي سنة ١٢٣٢ م . بعض مؤلفات ابن رشد . ثم ان « كالونيم » بن « كالونيم » بن «مير» الذي ولد سنة ١٢٨٧ م . ترجم كتب ابن رشد الى العبرية وترجم كتاب تهافت التهافت سنة ١٣٢٨ م

- ١٥ -

عظمة الكون

لقد جئنا في المقال السابق بحكاية « تشارلس ديكنز وماكان معه من أمر هذه الرواية - رواية « The Mistry of Edwin Drood » وكيف أتمها « ديكنز » وهو في العالم الآخر — وكيف طنبت روح الكاتب الانكليزي الشهير من الصبي — « جيمس » الوسيط — أن يساعده بيده على انهاء هذه الرواية — وكيف أمره جماعة العلماء في أمريكا أن يطيع أمر الروح ويستمر على الكتابة بوحيها وعملها وارادتها — ماتريد — وكيف انه اتمها فكانت طبق الاصل — حيث بدأ « ديكنز » اتمام روايته من حيث انتهى — وهو في هذه الحياة الدنيا — فكان الخط خطه والخطأ في هجاء بعض الالفاظ — وفي الانشاء وفي التراكيب — هو هو بعينه — وبعضاهاته ومقابلته بخط « ديكنز » وكتابته وأسلوبه لم يجدوا من فرق

أما الرواية — فقد طبعت بعد أن اكملها « ديكنز » على يد الوسيط « جيمس » وهي قسمان ـ قسم كتبه الرجل في حياته ، وقسم آخر اتمه روح « ديكنز » على يد هذا الوسيط ـ بعد مماته ـ وهي معروفة مقروءة ـ تدحض حجة الذين يجحدون مابعد الطبيعة ، وتذهب بزاعم منكري الارواح وأعمالها . أفبعد هذا دليل يقوم ، او برهان ينهض ؟ وهل بعد الذى علمناه من امر هذا الحادث التاريخي العظيم ينكر المفكرون عالم الارواح ؟ اللهم ان هذا دليل على صدق المذهب الروحانى ، وحقيقته ومتانته وتأسيسه على قواعد قوية ، ودعائم هي غاية في المتانة ـ وعلى الذين يجحدون او يشيحون بوجوههم عن ذلك ـ ان يأتوا بما ينقض ذلك نقضاً علمياً خالصاً لوجه العلم

وما حدانا إلى كتابة ما كتبناه من هذه الحكاية إلا تقدمة للقاريء ـ نمهد بها لما سنظهره عليه من رأي غاليلي في عظمة الكون وقد ادلى به من العالم الآخر ، ولقد مهدنا لرأيه بهذا التمهيد كي يذهب الشك من نفوس المشككين وتنزع الريبة من قلوب المعطلين ، وحتى لاترمى بسنة غفلة اوجهالة معرفة في تدليلنا على عظمة الكون تدليلا علمياً صحيحاً

وفي سنة ١٨٦٢ و١٨٦٣ ميلادية ـ وقع حادث تاريخي عظيم اهتم به الناس جميعاً

واصحاب المذهب الروحاني خاصة وذلك ان جمعية الوسطاء الروحانية الباريسية — بينما كانت تجري ابحاثها وتجاربها هناك ، ظهر روح غاليلوس على يد وسيط مهم — فانتهزت الجماعة هذه الفرصة — وسألته عن الكون وعظمته، فأخذ يدلي برأيه على يد هؤلاء الوسطاء بالتناوب حتى جاء بالعجب العجاب، نقتطف منه مايهم القاريء قال :

« افضل تحديد اطلق على الفضاء — انه مسافة تفصل مابين جرمين — فاستنتج بعض المعطلين من هـذا التحديد — ان لاوجود للفضاء حينما انتفى وجود الاجرام والى هذا المبدأ اسند بعضهم رأيهم في ضرورة تناهي الفضاء وعدم امكان تسلسل اجرام محدودة الى مالانهاية له . على حين ان الفضـاء لفظة تدل على معنى مفهوم في ذاته لايحتاج الى تعريف ، وما قصدي بهذه المقالة إلا ان ابين لـكم عدم حده وتناهيه

اقول : ان الفضاء لاحد له بدليل أن من المستحيل تصور حدود تحده . فأسهل لنا مع مانجد من الصعوبة في استيعاب اللانهاية أن نسير بالفكر أبداً في الفلاة من ان تصور موقفاً لامساحة بعده نجول فيها وان شئنا ان نمثل في ذهننا المحدود عدم تناهي الفضاء فلنتصور انفسنا طائرين من الارض نحو احدى جهات الـكون بسرعة الشرارة الـكهربائية التى تقطع فى الثانية ألوفا عديدة من الفراسخ . فبعد طيراننا بثوان قليلة — لاتعود الارض تتراءى لنا إلا ككوكب حقير ضعيف النور جداً — وبعد قليل تتوارى عن نظرنا بالـكلية — والشمس ذاتها لاتلوح لنا إلا كنجم حقير متوغل في اقاصي الفلا — وعوضها تتجلى لاعيننا نجوم عديدة لا نكاد نميزها من المحطة الارضية — واذا لبثنا طائرين بالسرعة ذاتها — فنقطع في كل هنيهة عوالم متجمعة . وسيارات ساطعة وبقاعاً زاهية — نثر فيها الله العوالم كما نثر الزهور في المروج الارضية

———

(١)على انه لم يمض على سفرنا الا دقائق قليلة — ومع هذا — فقد نأينا عن الارض ملايين في ملايين من الفراسخ وشاهدنا ألوفا في الوف من العوالم — اما لدى التحقيق فاننا لم نخط بعد ولا خطوة واحدة في الكون — واذا استقام سفرنا البرقي — لا دقائق ولا ساعات — بل سنين واجيالا وألوف اجيال وملايين في ملايين في ملايين من العصور والدهور — فلا نكون مع هذا قد خطونا ولا خطوة واحدة في طريقنا — وذلك الى أي صوب اتجهنا وأية نقطة انتحينا من تلك الذرة الحقيرة التي بارحناها وأنتم تدعونها ارضاً — هذا ما عندي من تعريف الفضاء

الزمان ـ وأما الزمان فهو كالفضاء لفظة معبرة بنفسها غنية عن التحديد وقد يسوغ ان ندعوه تعاقب الاشياء وهو مرتبط بالابدية ارتباط الاشياء باللانهاية . فلنتصور أنفسنا في بدء عالمنا أي في عصر بدأت فيه الارض تتبختر تحت النفحة الالهية وبرز الزمان من مهد الطبيعة السرى فقبلها كانت الابدية سائدة ساكنة والزمان يجري مجراه في عوالم أخرى . ولما برزت الارض الى حيز الوجود استبدلت فيها الزمان بالابدية وأخذت السنون والقرون تتعاقب على سطحها حتى اليوم الاخير أي ساعة تبلى الارض من العتق وتنمحي من سفر الحياة . في ذلك اليوم يبطل تعاقب الاشياء وتزول الحركات الارضية التي كانت مقياسا للزمن — وبزوالها يزول الزمان ايضا . فينتج من هذا ان الزمان يتولد من تولد الاشياء — وينقضي بانقضائها — وهو بقياس الابدية كنقطة سقطت من عباب الجو في ابحر الدأماء — فتختلف الازمنة على اختلاف العوالم وخارج هذه المعاقبات الفانية تسود الابدية وحدها تملأ بضيائها فلوات الفضاء الغير المحدودة . ففضاء لا حد له ـ وأبدية لا قرار لها هما الخاصيتان العظيمتان للطبيعة العامة

ولما كان الزمان تعاقب الاشياء الفانية ومقياسها فاذا جمعنا الوفا من الوف من القرون والاحقاب فلا يكون هذا العدد الا نقطة زهيدة في الابدية كما ان الالوف في الالوف من الفراسخ تعد نقطة حقيرة في الفضاء. واذا مضى على حياتنا الروحية عدد من القرون يوازي قدر ما يكتب على طول خط الاستواء فينقضي هذا العدد

(١) بعد ان نشر الاستاذ الرقاوي سؤاله بعنوان « العدل الالهي واين اثره في المخلوقات » بدأنا الرد عليه بمقالات نشرناها في (الاهرام) بهذا العنوان انما استطعنا ان ننشر منها ست عشرة مقالة — اي من نمرة ١ الى نمرة ١٦ واما باقي ما في هذا الكتاب فلم يكن له حظ النشر

الجسم والنفس كأنها اليوم ولدت . واذا اضفنا الى العدد المذكور سلسلة أخرى من الاعداد ممتدة من الارض الى الشمس وأكثر من ذلك فلينقض هذا العدد الغير المدرك قياسه من القرون والنفس لا تتقدم يوما واحداً في الابدية ـ ذلك لان الابدية لا حد لها ولا قياس ولا يعرف لها بدء ولا نهاية ـ فان كانت القرون المذكورة لا تعد ثابتة بقياس الابدية فما اهمية عمر الانسان على الارض ؟

قال: اذا القينا النظر الى ما حولنا الفينا اختلافا جسيما وتمييزاً جوهريا في كل المواد المؤلف منها العالم ـ فانظر الى كافة الاشياء الطبيعية ـ كانت او صناعية ـ وانظر ما اعظم التغاير في صلابتها وضغطها ووزنها وسواها من الخصائص التي يتميز بها الهواء مثلا عن عرق الذهب — والنقطة المائية من الحجارة المعدنية — والانسجة النباتية المتنوعة من الانسجة الحيوانية على اختلاف طبقاتها ـ ومع هذا فنستطيع ان نثبت بوجه الاطلاق ان كل المواد المعروفة والمجهولة مهما عظم تباينها وكثر تنوعها ـ ان هي الا اشكال وأنماط متقنة تظهر فيها مادة اصلية واحدة ـ تحت فعل القوى الطبيعية المتعددة

قال : ان الكيمياء التي بلغت اليوم عندكم درجة رفيعة من التقدم ـ وقد كانت تعد في أيامي من متعلقات العلوم السحرية ـ قد قوضت مسئلة العناصر الاربعة التي أجمع الاقدمون على تركب الطبيعة منها وأثبت ان العنصر الترابي ـ ان هو الا تركب مواد متنوعة في تفننها الى ما لا انتهاء له . وان الهواء والماء قابلا التحليل ـ وهما متركبان من بعض الغازات . وان النار ذاتها ليست بعنصر اصلي ـ بل حالة من المادة ناتجة عن نوع من الحركة العامة يصحبها احتراق حسي او كامن

وبمقابلة ذلك اكتشفت الكيمياء ـ عدداً وافراً من العناصر المجهولة ـ منها تتألف كل الاجرام المعروفة وسمتها عناصراً بسيطة اشارة الى انها اولية غير قابلة التحليل الى ما هو أبسط . ولكن فعل الطبيعة لا يقف حيثما وصلت تقديرات الانسان ـ وحكم ادواته ـ بل المتتبع بنظره الى ما تجاوز حد المعرفة البشرية ـ لا يرى في كافة العناصر المركبة والبسيطة الا مادة واحدة اصلية ـ تتجمع في بعض النواحي لتنشأ منها العوالم ـ وتتفنن أشكالا وأنواعاً في مدار حياتها ـ وتعود الى مأوى الفضاء بعد انقراضها

قال : ومن المسائل ما نعجز نحن الارواح المغرمين بالعلوم عن التعمق فيها ـ فلا نأتي بحلها الا بآراء شخصية مبني اكثرها على أقيسة افتراضية. اما مسألة وحدة المادة

فلا شبهة فيها ولا تخمين ـ ومن يأخذ قولي على محمل الافتراض اقول له : استوعب ـ ان امكن ـ بنظرك تفننات اعمال الطبيعة كلها ـ فتتحقق يقينا ان بدون وحدة المادة يتعذر عليك شرح نبات أصغر بزرة ونتاج احقر دويبة . وأما الباعث لتنوع ما تراه في المادة ـ فهو تباين القوى التي تولت أمر تحولاتها والظروف التي كانت عليها وقت نشأتها . انما هو جوهرها في الاصل واحد ـ وكل ما يقع او لا يقع تحت نظرك من الاجرام والسوائل — فهو صادر من مادة اصلية واحدة مالئة الكون الغير المحدود .

. . . . . . اذا احدى الدويبات الحقيرة التي تقضي حياتها الوجيز في قعر البحار — ولا تعرف من الطبيعة الا الاسماك وغابات المياه — نالت فجاءة من العقل ما مكنها من درس عالمها وأخذت عليه تقيس افكارها في الكائنات — فما عسى ان يكون تصدرها للعالم الارضي الغير الواقع تحت نظرها ؟

واذا بمعجزة اخرى انتقلت هذه الدويبة من القعر الى ما فوق المياه بالقرب من جزيرة غناء اكتست بمروج زاهية فأي تغيير يطرأ على افكارها السابقة – وكم تتسع دائرة تصوراتها ولئن مازالت هذه دون الحقيقة ؟

هذا بيان حال علومكم في الحاضر يا بني البشر .

قال: ان سيالا عاماً يملأ الفضاء الغير المحدود وينفذ الاجرام بأسرها يدعى الاثير او المادة الاصلية — ومنه تتولد كافة العوالم والكائنات . فهذا السيال تلازمه ابداً القوى اوالنواميس الطبيعية المتولية تقلبات المادة ومسرى العوالم. وهذه النواميس المختلفة على اختلاف تركيبات المادة والتعننة في انواع فعلها على مقتضى الظروف والمراكز تعرف في ارضكم — بالثقل والتلاصق والمناسبة والتجاذب والمغنطيسية والكهربائية . ثم حركات العامل الاهزازية تدعى عندكم — صوتا وحرارة ونوراً الخ . وأما في العوالم الاخرى فتظهر هذه النواميس تحت اوجه اخرى — وبخاصيات مجهولة عندكم . وان في سعة السموات الغير المحدودة — تفننات من القوى تعجز عن احصائها وتقدير عظمتها — كما تعجز الدويبة في قاع البحار عن استيعاب كافة الحوادث الارضية .

وكما ان لا وجود في الاصل الا لمادة واحدة بسيطة تتولد منها كافة الاجرام والتركبات الهوائية هكذا كل القوى الطبيعية صادرة عن ناموس اصلي واحد متفنن في مفاعيله الى مالا انتهاء له — فرضه الخالق منذ الازل ليقوم به نظام الخلقة وبهاء الكائنات .ان الطبيعة لاتضار ذاتها – وشعار الكون هو هذا : الوحدة في التفنن—

فان صعدت في سلم العوالم وجدت وحدة النظام والخالقة مع تفنن لا يعرف حده في تلك الاجرام الفلكية — وان اجلت بنظرك في مراتب الحياة من احقر الكائنات الى اعلاها وجدت وحدة التناسب والتسلسل . كذلك القوى الطبيعية — كلها صادرة بالتسلسل عن قوة اصلية واحدة تدعى بالناموس العام .

قال : يتعذر عليكم في الحاضر استيعاب هذا الناموس في شمول اتساعه لان القوى الصادرة عنه والداخلة في دائرة ابحاثكم محدودة مقيدة ـ اما قوة التجاذب والكهربائية تفصحان لكم نوعا عن الناموس العام الاصلي الشامل السموات والكائنات ـ فكل هذه القوى الثانوية ازلية عامة كالخلقة ـ بملازمتها للسيال العام تعمل ضرورة في كل شيء وفي كل مكان ـ ويتنوع عملها بالمقارنة والتعاقب ـ فتتغلب في مكان وتمتحي من آخر ـ يظهر فعلها ههنا وتكمن هناك ـ عاملة ابداً في تجهيز العوالم وادارتها وحفظها وملاشاتها ـ متولية اعمال الطبيعة ومعجزاتها حيثما قامت ضامنة على هذه الصورة بهاء الخلقة الازلية ونظامها الابدي .

قال : . . . . بعد ان تأملنا بوجه عام في تركيب الكون ونواميسه وخصائصه بقي علينا ان نشرح كيفية تكوين العوالم والبرايا ثم ننتقل بعدها الى تكوين الارض ومركزها الحالي في الموجودات .

قال : ولقدا بناسا بقاً ـ ما الزمان وما نسبته الى الابدية وان هذه واحدة ثابتة عديمة الغيار ـ وبالتالي لا بدء لها ولا نهاية ثم اذا لاحظنا من جهة اخرى ـ عدم تناهي القدرة الالهية ـ حكمنا ضرورة بوجوب ازلية الكون ـ لان الله قد تكملت كمالاته القدسية ـ وبما ان الله ازلي سرمدي فاقتضى ان يكون عمله سرمديا ـ اي لا بدء له ولا نهاية ـ فاذا تصورنا لعمل الله بدءاً ـ ومهما كان هذا البدء في مخيلتنا بعيداً قاصياً فتسبقه دائماً ازلية ـ زنوا جيداً ذلك بعقلكم ـ ازلية لا قرار لها لبثت فيها ارادة القدوس بلا عمل ـ ان الله شمس الكائنات ـ ونور العالم ـ فكما ان ظهور الشمس يصحبها انتشار النور هكذا وجود الله يصحبه ضرورة فعل الخلقة وظهور البرايا .

اي لسان يستطيع ان يصف تلك العظائم الباهرة المستترة في دحى الدهور التي تلألأ سناءها في عهد لم يكن قد ظهر بعد فيه شيء من عجائب الكون الحالي تلك الدهور القاصيه التى اسمع الله فيها صوت كلمته ـ فاندفعت تيارات الاهباء والذرات لتنشيد بتجمعها المهندم هيكل الطبيعة الغير المحدود ـ ذلك الصوت السري الكريم الذي تجله

وتهواه كل خليقة ـ وبرنته المرموقة ارتجت الافلاك وسبحت عجائب الله .

قال : اذا انتقلنا بالفكر الى بضعة ملايين من الاجيال قبل العصر الحاضر ـ لوجدنا أن الارض لم تبرز بعد الى حيز الوجود والكواكب لم تتولد من النظام الشمسي ـ في حين ان شموساً اخرى لا عدد لها كانت تسطع في اقاصي السموات وترسل اشعتها الى كواكب لا يقع عليها حصر ـ ثوى بها من سبقنا من الاحياء في مضمار الانسانية ـ وأنظار اخرى تمتعت بعجائب طبيعية وغرائب سموية ـ لم يبق لها اليوم من اثر . وقلوب وعقول اخرى لا عـدد لها كانت تسجد وتعظم لقدرة الباري الغير المتناهية ـ نحن الحقيرين الذين برزنا الى الوجود ـ بعد ازلية من الحياة نريد ان ندعي بمعاصرتنا للخلقة ! لندرك ان امر الطبيعة جيداً يا أحبائي ولنعلمن ان الابدية وراءنا كما هي قبالتنا ـ وأن الفضاء مسرح تعاقبت وتتعاقب عليه خلقات لا عددلها ولا انتهاء . فتلك المجرات التي لا تكادون تميزونها في اقاصي السموات ـ ان هي الا تجمعات شموس منها في بدء تكوينها ومنها آهلة بالاحياء ـ ومنها ما بلغت دور الانحطاط ـ وعلى الجملة ـ كما اننا قائمون في وسط عدد غير متناه من عوالم هكذا نحن عائشون في وسط دوام ازلي ابدي لاحق لوجودنا الحاضر . وان فعل الخلقة ليس بمقصور عليكم ولا على كريتكم الحقيرة .

قال : ان المادة الاصلية تحوي في ذاتها العناصر الهيولانية والسيالة والحيوية التي تألفت وتتألف منها كل العوالم المنتشرة في مساحات الفضاء ـ فهي ام تثور لكل الكائنات والوالدة الازلية لكل الاشياء ـ فلا يمكن ان يعتريها نقص او تلاش ـ او تعطي الوجود من دون انقطاع لعوالم جديدة ـ وتستقي بلا فتور من الاصول التكوينية المنحلة من العوالم التي بدأت تمحى من سفر الحياة . وهي المادة الاثيرية ، او السيال العام المالىء الاجرام وما بين الاجرام ، وفيه مستقر العنصر الحيوي ـ الذي به تحيا كل خليقة ، عند ظهورها على سطح سيارة ، فما من خليقة معدنية او نباتية او حيوانية او غيرها ـ اذ توجد موالد اخرى ـ ليس في وسعكم ان تتصوروها ـ الا وتأخذ عند نشأتها نصيبها من هذا العنصر الحيوي وبنفاده ينقضي اجلها . فالسيال العام اذن لا يحوي فى ذاته فقط النواميس القائم بها حفظ العوالم ، بل يشتمل ايضاً على العنصر الحيوي العام الذي به تنشأ فى كل عالم المواليد الغريزية الاولية التي تنبت من غير زرع ـ وذلك عند سنوح الظروف الملائمة للحياة على سطح الكرة

قال : ولقد ضربنا الآن صفحاً عن ذكر العالم الروحي الذي هو ايضا قسم من الخلقة العامة ويتم ما رسمه عليه الخالق المبدع المظيم من التقادير الازلية . على أني لا استطيع ان اتوسع في كيفية خلقة الارواح ـ نظراً الى جهلي للمسئلة ـ وعدم اجازتي بان ابوح بأمور تيسر لي التعمق فيها ـ فقط أقول لمن تطلب الحق بخلوص نية وتواضع القلب ـ ان الروح لا يشرق عليه النور الالهي لينال به مع الاختيار المتوق معرفة ذاته ونصيبه من الاستقبال ـ الا بعد ان يكون قد جاز بقضاء محتوم في مسبحة النسمات السفلية من البرايا ـ وفيها انجز ببطء ما انجز من فروض شخصيته. ففي ذلك اليوم ينخرط الروح في سلك الانسانية ـ وحذار ان تبنوا على مقالي استدلالا تكم النظرية ـ اذ احب الي الف مرة ان اطوي كشحا عن مسائل تفوق حد نظري من ان اعرضكم لافساد تعليمي واستنتاج اقيسة وقواعد لا اس لها . . . . .

قال : حدث مرة ان نقطة من الفضاء ـ وفي وسط مليارات من العوالم تكاثفت المادة الاصلية ـ فتولد عنها مجرة اي سحابة نيرة لا يكاد يدرك قياسها. وبقوة النواميس العامة المستقرة فيها وخصوصا التجاذب الدقائقي ـ اصابت الشكل الكروي وهو الشكل الذي تصيبه في البدء كل مادة تجمعت في الفضاء . ثم تغير شكلها الكروي بقوة الحركة الدورية الناتجة من التجاذب المتساوي من كل المناطق الدقائقية نحو المركز ـ واصابت الشكل العدسي ، وتولد عن حركتها هذه الدورية ـ قوات اخرى اخصها قوة الجاذبة والدافعة ، فالاولى تميل بالاجزاء الى المركز والثانية تبعدها عنه ـ وتعاظمت سرعة حركة المجرة ـ على قدر تكاثفها ـ وتوسع نصف قطرها على قدر تقربها من الشكل العدسي ـ الى ان تغلبت القوة الدافعة على الجاذبة ـ واقتلعت من المجرة الدائرة المحيطة بخط الاستواء ـ كما تقطع حركة المقلاع ـ الحبل بتزايد سرعتها وتدفع القذيفة الى بعد . ثم انقلبت تلك الدائرة المنقطعة عن المجرة الى كتلة قائمة بنفسها ولكنها خاضعة لولاية المجرة الاولى وبقي لها حركتها الاستوائية فتغيرت الى حركة انتقالية حول الجرم الاصلي ـ واكسبتها حالتها الجديدة هذه حركة اخرى دورية حول مركزها الذاتي

ثم عادت المجرة الاصلية الى شكلها الكروي ـ بعد ان اولدت عالماً جديداً ، ولما كانت الحرارة الاصلية المتولدة عن حركاتها المختلفة لا تضعف الا ببطء كلي ـ فالحادث الذي اتينا على ذكره سيتكرر مراراً متعددة وفي مدة مديدة الى ان تبلغ المجرة درجة من الكثافة ـ تحول بمتانتها دون التغيرات الشكلية الصادرة عن حركة دورانها حول

مركزها . فليس جرم واحد بل مئات من الاجرام ـ ستقتلع على النسق المذكورمن المجرة الاصلية. وكل من هذه العوالم لاحتوائه القوى الطبيعية ذاتها المستقرة فى الجرم الاصلي ـ سينتج اجراما ثانوية تدور حوله ـ كما يدور هو حول المجرة الاصلية بصحبة سائر الاجرام المتفرعة منها . وكل من هذه الاجرام الثانوية سيكون ايضا شمسا ـ اي مركزاً لكواكب جديدة ـ تتفرع منه بالطريقة التكوينية ذاتها . وما الارض الا احدى هذه السيارات كتبت فى حينها فى سفر الحياة ـ واصبحت مهداً لخلائق ضعيفة يكلأها عين العناية الربانية ـ وجاءت وتراً جديداً تعزف فى عود الطبيعةالعامة المسبحة لعجائب الخالق

..وقد تفرع من السيارات قبل تجمدها اجرام اخرى صغيرة انقطعت من دائرة خط الاستواء ـ واخذت تدور على محورها وحول الجرم الاصلي بقوة النواميس العامة ذاتها . فتولد من الارض القمر ـ وجمد قبلها لصغر حجمه ـ انما القوى التي تولت اقتلاعه من خط الاستواء الارضي وحركته الانتقالية فى هذا الخط ـ فعلت فيه ما جعلته ان يصيب الشكل البيضي بدلا من الكروي ـ فأصبح على شكل بيضة ـ مركز ثقلها فى اسفلها لا في وسطها ، لهذا لستم ترون من هذا الجرم الا جهة واحدة ـ وهو اشبه بكرة من الفلين قاعدتها من رصاص ، وهي الناحية المتجهة دائما الى الارض ، فينتج من ذلك ان على سطح العالم القمري ـ طبيعتين فى غاية التباين والاختلاف — الاولى ـ وهي الناحية المتجهة دائما نحو الارض ـ لا ماء فيها ولا هواء ، وفيها تجمعت كل الاجرام الجامدة الغليظة ـ لوجود مركز الثقل فيها ، والثانية التي لا يقع عليها قط نظر ارضي ـ حاوية كل السوائل والمواد الخفيفة ـ وهي متجهة ابداً الى الناحية المخالفة لعالمكم

قال: ولقد اختلفت الاجرام المتفرعة من السيارات عدداً واحوالا ، فمن السيارات ما لم يتفرع منها شيء ـ كعطارد والزهرة ، ومنها ما اولدت قمراً واكثر ـ كالارض والمشتري وزحل الخ ـ وهذا الكوكب اي زحل ـ اولد عدا الاقمار حلقة نيرة ـ تحيط بخطه الاستوائي ، وهذه الحلقة عبارة عن منطقة انفصلت فى البدء عن خط الاستواء فى زحل كالمنطقة الاستوائية التي انفصلت عن الارض فصارت قمراً ، انما الفرق ان منطقة زحل ـ كانت متكونة عند انفصالها من دقائق متجاذبة الجوهر وربما متجمدة بعض التجمد ـ فلهذا بقيت تدور حول الجرم الاصلي بسرعة تكاد تعادل سرعة الجرم

ذاته ، فلو كانت المنطقة متكاثفة فى احدى جهاتها اكثر من سواها لتجمعت حالا كتلة واحدة او كتلات متعددة تصبح اقماراً جديدة تضاف الى ما كان لزحل من الاقمار الاخرى

قال : واما النجوم ذوات الاذناب ـ فقد توهمها البعض عوالم فى بدعة نشأتها تجهز فيها بواعث الوجودوالحياة كما فيالسيارات وافترضها غيرهم عوالم آخذةفىالدروس والتلاشي ، حتى المنجمون انفسهم كانوا يتشاءمون لها كدلالة على النحس والبلايا ، على ان المطلع على تفننات واعمال الطبيعةيعتورهالعجب لاقيسة افتراضية بناهاالطبيعيون والفلكيون والفلاسفة ـ ليؤيدوا بها المذنبات سيارات حديثة او عتيقة ـ فى حين انها ليستالا كواكبمتنقلة كروادفى المملكة الشمسية،وما إعدت لتكون كالسيارات مساكن آهلة بالسكان من البشر ـ انما اختصاصها ان تنتقل من شموس الى شموس ـ لتستقي منها الاصول الحيوية المنعشة فتفيضها فيما بعد على العوالم الارضية

قال: فلنتبعن بالفكر احد النجوم المذنبات عند بلوغه البعد الاقصى من الشمس ـ ولنقطعن تلك السعة المديدة الفاصلة ما بين الشمس واقرب النجوم ـ ولنتأملن فىسير هذا المذنب المتنقل ـ فنجد فعل النواميس الطبيعية ممتد الى بعد لا تكاد المخيلة ان تصيبه ، فهناك يبطؤ سيره الى حد ان لا يتجاوز بعض الاذرع فى الثانية ـ بعد ان كان يسير الالوف من الفراسخ فى كل لحظة عند قرب دنوه من الشمس ـ ولا يبعد ان تتغلب عليه عند هذا الحد شمس اخرى اشد قوة ونفوذاً من التي بارحها فتجذبه الى دائرة فلكها ـ وتحصيه فى عداد تباعها وعبثا ينتظر بعدها بنوارضكم رجوعه فى وقت عينته ارصادهم الناقصة ، اما نحن فنجوز معه بالفكر الى تلك الاقطار المجهولة فنجد فيها من العجائب ما لا يصل اليه حد التصور . . . . . . قل منكم من لم يلحظ فى الليالي الصافية الخالية من القمر سحابة نيرةمنتشرة فى اقصي السماء الى اقصاها تدعونها درب التبانه او المجرة ـ وقد كشف لكم عنها مؤخراً المرصاد فرأيتم فيها ملايين من الشموس ـ معظمها ابهى نوراً واعظم حجما واهمية من شمسكم ـ ان المجرة فيالحقيقة حقل فسيح زرعت فيه زهور شموس وكواكب تتلألأ فى ارجائها الرحبة فالشمس وكافة السيارات والاجرام التابعة لها زهرة واحدة من تلك الزهور المنثورة فى حقل المجرة ـ وعدد هذه الزهور اي الشموس لا يقل عن الثلاثين مليونا ـ تبعد كلمنها عن الاخرى اكثرمن ثلاثة آلاف الف الف الف فرسخ، فمن هذا يستدل

على سعة تلك المجرة الممتنع تصورها ــ وصغارة شمسكم بالنسبة الى باقي الشموس ــ ثم حقارة بل عدم ارضكم ليس فقط بالنسبة الى حجمها وسعتها المادية بل ايضا وبالاخص الى احوال سكانها ــ الادبية والعقلية

ثم ان المجرة ذاتها مع ملايين شموسها ليست بشيء بالنسبة الى الالوف من المجرات المنتشرة فى اقاصي الفضاء، انما تظهر اوفر سعة وسناء من غيرها لاحتياطها بكم ــ ووقوعها تحت دائرة نظركم ــ فى حين ان المجرات الاخرى متوغلة فى اقاصي السموات ــ فلا يكاد يستشفها مرصادكم ، فاذا علمتم ــ ان الارض ليست بشيء فى النظام الشمسي ــ وان النظام الشمسي ذاته ليس بشيء فى دائرة المجرة ــ وان المجرة ذاتها ليست بشيء في عامة المجرات ــ وان عامة المجرات ايضا ليست بشيء فى سعة الفضاء الغير المتناهية ــ كان سهلا عليكم ادراك حقارة الارض ــ وعدم اهمية الحياة الجسدية

ان الملايين من الشموس المؤلفة منها مجرتكم يحتاط بأكثرها سيارات وعوالم تستمد منها النور والحياة . فمنها نجم « سيريوس » مثلا ما يربو حجمه وبهاؤه على شمسكم الوفا من المرات ، والسيارات المحتاطة به تفوق سيارات الشمس كبراً وسناء ، ومنها شموس مثناة اي نجوم قوائم تختلف وظائفها الفلكية عن وظائف شمسكم ففي السيارات المحتاطة بتلك الشموس المثناة لا تعد السنون والايام كما فى ارضكم ، واحوال الحياة فيها ــ يتعذر عليكم تصورها . ومن الشموس ايضا ما لا سيارات لها ــ انما احوال سكناها خير الاحوال ــ وعلى الجملة ــ ان تفننات هذه النجوم واختلاف احوالها ووظائفها مما يقصر الادراك البشري عن تخيلها

ان كل ما ترون من النجوم والاجرام فى القبة الزرقاء ــ يختص بمجرة واحدة تدعى كما قلنا ــ درب التبانه ــ ولكل منها سير مخصوص ــ مصدره قوة الجاذبية فتسير ليس على سبيل العرض والمصادفة وانما فى طريق معينة ــ مركزها الجرم الاصلي ــ فقد تحقق لكم مؤخراً ان الشمس ليست بنقطة مركزية ثابتة ــ بل تسير فى الفضاء سابحة معها موكبها الحافل من السيارات والاقمار والمذنبات وليس سيرها بعرضي ــ بل طريقها محدود ــ تسير فيه بصحبة شموس اخرى من طبقتها حول جرم آخر عظيم تولدت منه ــ انما حركة سيرها وسير باقي الشموس رفيقاتها ــ لا تصيبها ارصادكم السنوية اذ يقتضي عدد عظيم من الاجيال لنجاز احدى هذه السنوات الشمسية

ثم ان هذا الجرم العظيم الذي تدور حوله الشمس مع سائر الشموس رفيقاتها

ليس اصلي بل يدور هو ايضاً بصحبة اجرام اخرى من طبقته حول نجم آخر اعظم منه — وهكذا قل عن هذا النجم الثاني الى ان يحل العجز بمخيلتنا عن تصور هذه السلسلة المرتبة القائمة مابين شموس مجرتكم التي لايقل عدها عن الثلاثين مليونات وكل هذه الشموس مع سياراتها مرتبطة بعضها ببعض في نظام واحد كمجموع دواليب آلة واحدة — فتظهر لعين الحكيم الناظر اليها عن بعد كحفنة من اللآلئ الذهبية نثرتها النفحة الآلهية في الفضاء كانثر الريح الرمال في بقع الصحاري

ان فلاة يكاد الايحدها قرار — تمتد الى كل جهة حول المجرة التي اتينا على ذكرها لان تجمعات المادة الاصلية اي المجرات منثورة في الفضاء — كجزر عزيزة الوجود في بحر لا حد لسعته فالمسافة التي تفصل مابين كل مجرة واخرى تفوق فؤوقاً لا يقدر مسافة قطر المجرة ذاتها — فمعلوم ان قياس مجرتنا يقدر بمئات الف الف الف الف الف فرسخ — اما قياس بعدها عن باقي المجرات فلا يمكن لعقل ان يدركه بل المخيلة وحدها تستطيع ان تقطع تلك الفيافي السموية الخالية من مظاهر الحياة .

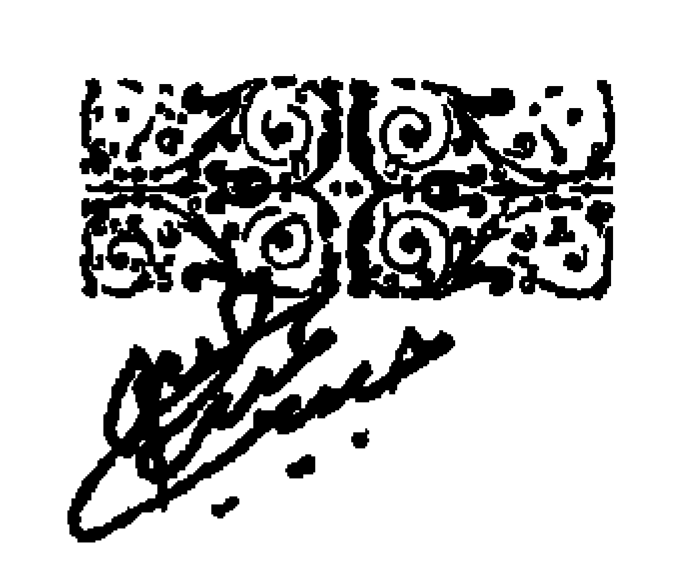
وتتجلى ماوراء هذه الفلوات عوالم اخرى تتبختر في بحر الاثير وتظهر الحياة فيها تحت مجالي غريبة يستحيل عليكم تصورها فالمنتقل من مجرتكم الى تلك المجرات يعاين ضروبا وقوى طبيعية لم تكن قط لتخطر بباله — هنالك يدرك قدرة الخالق ويسبح عجائب اعماله .

قال رأينا ان ناموساً اصلياً واحداً يتولى تكوين العوالم وخلود الكون — وان هذا الناموس العام يظهر لحواسنا تحت ضروب مختلفة ندعوها قوى طبيعية — وبفعلها تتجمع المادة الاصلية وتتجز تقلباتها الدورية اي تكون في البدء مركزاً سيالا للحركة ثم تتفرغ فيها العوالم ، وتصبح بعدها جرماً كثيفا يدور حوله ماتولد منه من الاجرام

قال والآن اريد ان ابين أن هذه النواميس ذاتها — التي تولت نشأة العوالم ستتولى أيضا أمر دثارها — لان منجل الموت لا يحصد ذات النسمة فقط - بل المادة الجمادية ايضا بانحلال تراكيبها ، فلما يقضي العالم سني حياته ، وتخمد منه نار الوجود، وتفقد عناصره قواها الاصلية ، وتزول منه الحوادث الطبيعية بزوال القوى - هل تظنون ان سيلبث دائراً فى الفضاء كجرم ميت لا حياة فيه - ويبقى مكتوبا فى سفر الحياة - بعد ان اصبح حرفا ميتا لا معنى له ؟ كلا ان النواميس ذاتها التي انتشلته من ظلمة الخواء - وجملته بمظاهر الحياة - ودرجته من اجيال الصبوة الى الهرم - ستتولى

امر دثاره وارجاع عناصره الجوهرية الى معمل الطبيعة العام ـ ليتكون منها فيما بعد عوالم جديدة ـ الى ما لا انتهاء له

قال : فأبدية الكون تقوم بالنواميس ذاتها المتولية اعمال الزمان اي تعقب الشموس الشموس ـ والعوالم العوالم ـ دون ان يصيب قوي الكون ادنى كلل اوخمود فما ترون في اقاصي السموات من نجوم نيرة ـ قد محتها ـ ربما ـ من امد مديد اصبع الموت وعقبها الخواء او خلقة جديدة ـ تجهلونها بعد انما البعد الشاسع القائم بينكم وبين تلك الاجرام القاصية ـ والذي لا يقطعه النور الا في الوف الوف من السنين يجعل اشعتها ان تصل اليكم اليوم ، مع انها ربما انبعثت قبل خلقة الارض بامد مديد ـ ففي هذه كما في غيرها ـ تظهر حقارة الانسان وعدم دنياه ـ انما سيأتي يوم فيه يبقى ذكر الارض في ذهننا كظل بخاري ـ بعد ان نكون قد تدرجنا اجيالا لا عدد لها الى العوالم العليا ، ولما تتأمل في المستقبل ـ عند بلوغنا هذا الحد ـ فلا نرى نصب اعيننا الا تعاقباً سرمديا من العوالم او ابدية ثابتة لا انقضاء لها



— ١٦ —

فضل العرب على الغرب

نقول : ولقد بلغت فلسفة ابن رشد — عند اليهود في القرن الرابع عشر — أرقى وأبقى منزلة — حتى لقد تمهد (لاون) « الافريقي » اليهودي شرح فلسفة ابن رشد كلها وتوضيح ما نقله هذا الفيلسوف عن ارسطو وما لخصه منها

يقول « سديو » العلامة الفرنسي الشهير في هذا المقام

« ولا يخفى ان الكشف السالف يفيد علم الفلك الشرقي مزية الاصالة والاولية التي لا يستطيع الامساك عن الاقرار بها أحد من الفرنجة الذين كان كشفهم بمعلومات الكتب العربية شاهداً على تقدم العلوم الرياضية عند العرب الذين استفاد منهم اللاتينيون المعلومات فان (جوستر) الذي كان بابا روما الملقب بسلوستر الثاني أدخل من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٨٠ عند الفرنج العلوم الرياضية التي كسبها عن عرب اسبانيا و (اهلاد) الانجليزي ساح من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ م في كل من اسبانيا ووادي مصر ثم عاد فترجم مبادىء اقليدس من العربية بعد ان ترجها العرب من اليونانية وترجم افلاطون من العربية الرياضيات الكروية المنسوبة الى (تيودور) كما ان الخواجه (رودلف) أحد أهالي (بروجس) البلجيكية ترجم مسائل بطليموس المتعلقة بالكرة الارضية والسماوية المصورة مبسوطة على خريطة وهكذا (ليونارد) ألف سنة ١٢٠٠ م رسالة في الجبر الذي نقله من بلاد العرب و (قميانوس) الاسباني ترجم في القرن الثالث عشر كتاب اقليدس ترجمة جديدة وشرحه — وقد كان الملك (زوجير) الاول ملك (السيصليين) مساعداً لعلماء (بسيسيليا) لاسيما (الاوريسي) ثم جاء العاهل فردريك الثاني بعد زوجير بمائة سنة فلم يأل جهداً في المساعدة والحث على كسب العلوم والمعارف الادبية الشرقية وكانت اتباع ابن رشد تعمل في ديوانه وتعلم التاريخ الطبيعي وعلم النبات وعلم الحيوان

يقول (سديو) ان القوانين وهي خمسة كتب لابن سينا قد ترجمت وطبعت مراراً وكانت مؤلفاته ومؤلفات الرازي تدرس في مدارس اوروبا نحو ستة قرون ولقد طبعت مؤلفات الفخر الرازي في الطب في مدينة البنادقة سنة ١٥١٠م وكتب علي بن عباس الفارسي

وهي عشرون كتاباً في الطب ترجمت الى اللاتينية سنة ١١٢٧ وطبعها مخائيل كابلا سنة ١٥٢٣ في مدينة ليون بفرنسا

هذا ما عن لنا ان نلخصه من كلام سديو العلامة الاشهر لنظهر القراء على شيء من فضل العرب على الغرب في السبق في مضمار العلم وحلبة الفن وليعلم الذين لا يزالون على جهل من أمر العرب وتاريخ العرب وفضل العرب ان الحق لا يعدم نصيراً ولو من الاعجام وأهل الغرب فهذا فضل أنطق لسان سديو الفرنسي على حين اننا ما زلنا نسمع أصوات كثيرين من المصريين والمتكلمين بالعربية ترتفع من كل جانب بالاستنكار وغمط شأن العربية فهم ينمون العرب وآثار العرب وفضل العرب في حين ان الاجانب من الفرنسيين والالمانيين والغربيين جميعاً لا يزالون ينطقون بالحق ويرفعون لواءه من غير غضاضة ولا توان والامر لله من قبل ومن بعد

قالوا : (١) ولقد اخبر رسول الله (صلعم) انه رأى أرواح الانبياء عليهم السلام ليلة أسرى به في السموات سماء سماء — آدم في سماء الدنيا — وعيسى ويحيي في الثانية — ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى وابراهيم في السادسة والسابعة . يقول ابن حزم — فصح ضرورة ان السموات هي جنات (٢) عن صفوان ابن يعلي عن أبيه عن النبي (صلعم) قال البحر من جهنم أحاط به سرادقها وقال تعالى والبحر المزجور — أي الموقد — روى ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحر ناراً فيسجر بها نار جهنم وهو أعلم



— ١٧ —

فيما بعد الطبيعة

نقول : ولقد راهنت مجلة « Scientific American » بالف جنيه أودعتها في خزانتها وتحدث كل من يؤمن بالارواح — قائلة انها تراهن بهذا المبلغ كل من يستطيع أن يثبت لها عملياً وجود الارواح — وانها فوق ذلك تدفع للمراهن هـذا مصاريف انتقاله من بلده الى نيويورك . على ان شخصاً من أشياخ العلم عندنا طلب الي اذ ذاك أن أدلي برأيي — فقلت ان هذه المجلة لن تستطيع أن توفق الى مراهن صادق أو روحاني مخلص — ذلك لان الارواح نوعان — علوية وسفلية — والثانية كاذبة مخاتلة مخادعة ميالة للمزاح واللهو والعبث بعقول المخلوقات — دائبة اللعب، دائمة السخرية لا يهدأ لها حال الا بالضحك من عقول الناس تضلل بهم، وتعبث بأعمالهم وأقوالهم كما يعبث الماجن بصاحبه . أما الاولى (الارواح العلوية) فصادقة ابية شأن الـكل — وهذه مقت المادة وأحوالها وأعمالها وتحتقر الالعاب سيما منها المحرم أو المـكروه — والرهان هذا عمل يستحبه البعض منا ويلهو به ويلعب على ان الارواح الطاهرة العلوية تترفع عن مثل هذه الاعمال وتربأ أن تتدخل في مراهنات وماذا يضيرها لو آمن الـكل أو جحد الارواح ناس من مخاليق الله — ما دامت لا تهدي من تحب ولـكن الله يهدي من يشاء

إذن فالذي يتصدى للمراهنة من أصحاب المذهب الروحاني ليس يعقل أن يكون الا ممن يألفون ويتفهمون مع الارواح السفلية — اما أن يكون هذا أو أن يكون من (البلافين) الملاعبين المشعوذين « كالحواة » وما أشبه ذلك . وقد وقع ما قلت به — فلبثت المجلة فى انتظار من يكسب الرهان ردحا طويلا من الزمن ولـكنها لم تظفر ببغيتها ولم يسع اليها الا المشعوذين والدجالين — هذه حكاية وقعت من عهد قريب نرويها لمناسبة . وقد كان فى وسع امثال اديسون واوليفر لودج وكونان دويل ووليم جيمس كان فى وسع واحد من هؤلاء أن يثبت علميا وعمليا لجماعة السا ينتفك اميركان ما يؤمن به وما رأى وما سمع لولا ان هذا لا ترضاه الارواح

وهاك ملخص ما نشرته جريدة الهرالد سنة ١٩٢١ خاصا باختراع اديسون قالت

« كان اديسون في مكتبه « مساء يوم من الايام » وكانت أمامه الآلة التى اخترعها لمخاطبة الارواح — واذا به يراها تتحرك — فجعل يرقبها ويلحظ حركاتها — واذا حركاتها على حسب الحروف الابجدية التى اصطلح عليها اديسون واتفق هو ومن معه في المعمل على ان تكون رموزاً واداة للتفهم اذا فارق احدهم هذه الحياة الدنيا وانتقل الى عالم الارواح — وعلم ان الذي يخاطبه انما هو روح مساعده بيترسون — فدهش لذلك — لان بيترسون هذا كان غائباً — ولان اديسون كان على اعتقاد انه لا يزال حيا — بيد انه علم من بعد ذلك بواسطة روحه هذا ان عصابة من الاشرار تربصوا له وطلبوا منه ان يبوح لهم بما في معمل اديسون من اسرار — وان يساعدهم بما لديه من أدوات كهربائية على تنفيذ اغراض سافلة سيئة — ولما ابى ان يطيع امرهم قتلوه . وكان أبعد ما يعتقده اديسون فى شأن مساعده أنه ضل الطريق او غاب عن الحضور لعذر ما — وما اشد حزنه المزيج بالفرح لنجاح اختراعه . ثم أخذت الآلة تتحرك وظل اديسون يرقبها حتي أخبره الروح انه يحس باسف شديد لانه فارق هذه الدنيا وترك كناريا محبسا في قفص موضوع فوق سطح منزله دون أن تعلم بذلك زوجته حتى ترعاه بعنايتها وانها لا تعلم بوجوده لانه اشتراه يوم وفاته ليهديه لابنه من غير أن يكون لها بذلك علم . أنبأ روح مساعد اديسون بذلك — واعلمه ان لديه فى مكتب منزله تصميم اختراع حدث وطلب اليه أن يجرب هذا الاختراع فاذا نجح كان من حق ورثته من عائلته . اما اديسون والذين معه نقد علموا بعد ذلك ان الكناري مات جوعا »

ولما قرأ هذا الخبر الدكتور ليمان ابوت اخذته دهشة وكاد لا يصدق ما فيه من رواية — وفيما هو على هذه الحال دق جرس التلفون — واذا بالمستر هيوز يخاطبه: هل قرأت ؟

— قرأت العجب العجاب . هل حقيقي هذا ؟ العالم كله في لغط شديد ، لان جريدة نيويورك جورنال تقول ان اديسون — ما زال حتى هذا الصباح يخاطب روح مساعده بيترسون — وقد علم منه اموراً عن عالم الارواح

— ماذا علم ؟

— علم ان أرواح كثيرين من أعلام الخلق سيما منهم أقطاب السياسة تحلق فى جو وشطنون الآن

— والله يا هيوز لقد اختلط علي الامر فلم أعد اميز بين المزاح والجد ولا بين الحقيقة والوهم

— لا لا ان ما تقرأه وتسمعه لحقائق ثابتة . حقائق كالكذب . لقد اتصلنا بعالم الارواح من غير ما جدل او شك . ولم يعد الموت الا سفراً عاديا بسيطا

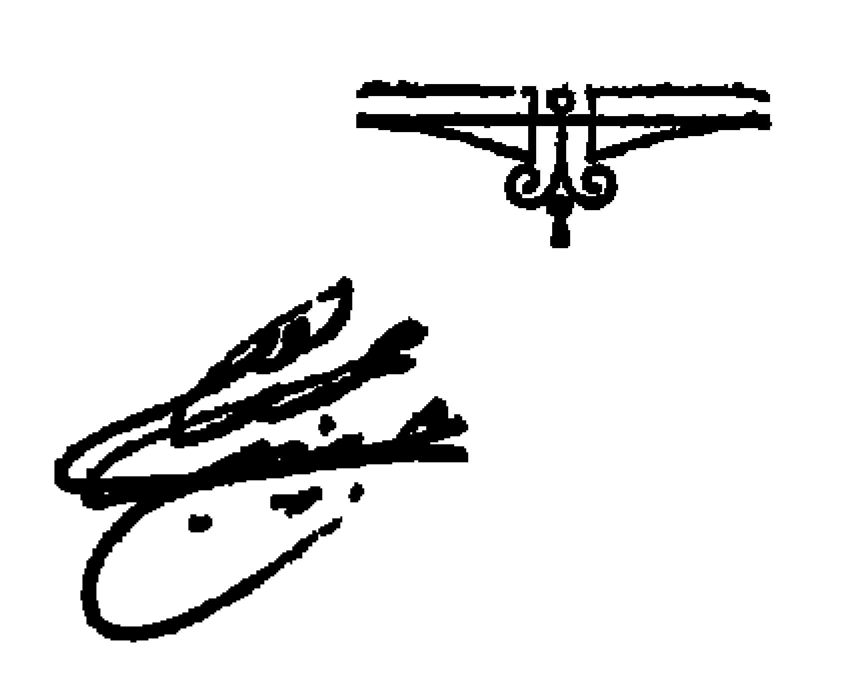
— ترى هل ثبت مقتل ويلسون ؟

— لقد اصبح فى دائرة البوليس مرجحا وانما جثته لم يهتد اليها بعد

— ما رأيك فى ان نكلف اديسون ان يسأل مساعده بيترسون عن روح ويلسون

— اجل لقد وقع بخاطري أن نذهب الى اديسون ونسأله بعض الاسئلة — بيد انه قد احاط به الصحفيون احاطة السوار بالمعصم — وقد أمه الناس افواجا افواجا من كل صوب وحدب — وقد استنجد الحكومة فبعثت اليه بفرقة من الجيش لرد الخلق عنه

— حسنا ان اديسون صديق من اعز اصدقائي فلنسع اليه وسأقترح عليه ان انشيء لديه مكتبا خاصا لجمع معلومات المخاطبات الروحانية وتوزيعها على الصحفيين — وبهذا يستريح من تكأكؤ الخلق عليه وحول معامله



— ١٨ —

فيما بعد الطبيعة

وكان في ذلك العهد الدكتور ليمان ابوت هو وصديقه مستر هيوز — عند أديسون في غرفته الخاصة — وكان الرجل عظيم السرور شديد الابتهاج بنجاح اختراعه وهو لا يني ولا يكل ولا يمل مخاطبة روح مساعده بيترسون . وما نحن بقادرين ان نتبسط في الحديث ونستزيد من الكلام فيما حدث من حوار ومخاطبة في هذه الجلسات التاريخية العظيمة ، وانما نحن موردون ما يهم القراء منها فنقول :

ان الدكتور ليمان ابوت استحلف مستر اديسون ان يسأل روح مساعده بيترسون في استحضار روح ولسون

ولما التقى السؤال على روح بيترسون — بحثت عن روح ولسون ردحاً من الزمن وقالت انها لم تجد ولسون ولا اخبرها احد بوجوده في عالم الارواح بل هي تزعم بعد هذا البحث ان ولسون لا يزال حياً

— دعها تبحث عنه حيا . ألا يمكنها ذلك ؟

— تقول ان البحث عن الاحياء صعب جداً على انها لا تزال تبحث وتجد في البحث.

— أما اخبرتك عن الذين قتلوه ؟

— نعم تقول انهم من جمعية كوكلاكس كلان السرية او من جمعية اخرى مخالفة لها — وهي على اعتقاد ان ولسون لا يزال اسير هذه الجمعية .

- وبينما كان اديسون مقبلا على صاحبه يحادثه اذا بالآلة تنقر . فقال للحال

— لقد حضرت روح بيترسون فسمعا لما تقول ثم حرك اصابعه على الآلة اخذاً ورداً — وما لبث ان صاح متعجبا قائلا ان روح بيترسون قد اهتدت مصادفة الى الكابتن ماركسون وهو في قبضة يد جماعة كوكلاس كلان

— الله ماذا تقول ؟ ان البوليس لا يزال يبحث عن قاتل الكابتن ماركسون .

— البوليس غبي جداً — لان الجثة المشوهة الموجودة في دائرة البوليس هي جثة مساعدي بيترسون لا جثة ماركسون . — هو ذا بترسون يتكلم انه اهتدى الى ولسون — على ان ولسون هو الاخر اسير هذه الجمعية .

— اين ؟

— فى مكان ليس فى وسعه ان يصفه ـ لان الارواح لاتستطيع ان تميز الاوضاع المادية والاحياز المكانية . ـ وهو يرى ويتعرف روح واسون لا جسمه وهو يعرفه من مثال زوجه المشابهة لمثال حسده فان فراسة الروح تشابه فراسة الجسد ـ ولقد تحقق وتأكد من هويته ـ من افكاره .

هل يستطيع ان يلقي عليه بعض الاسئلة ؟

— أما اديسون فالتفت الى صديقة الدكتور وقال له : لو أن الارواح تستطيع أن تؤثر فى الاحياء أو تخاطبهم متى شاءت — لما كانت ثمت داعية لهذه الالة — ان تأثير الروح على الروح التي لا تزال تحجبها الاحياز المادية ضعيف ـ على أن روح بيترسون ستجتهد فى التأثير على روح ولسون حتى توجه افكاره الى أي موضوع ـ وحتى تستطيع ان تفهم افكاره بعض الفهم من غير أن يشعر بذلك .

— أما قال لك بيترسون عمن صادف من ارواح المشهورين ؟

— صادف روح روزفلت فعرفته بروح فرنكلن ووشنطون وكثيرين ورأى كتشنر والقيصر نيقولا والامبراطور فرنسوا جوزيف وتعرف بروح نابليون. فتهلل ابوت وسر وابتهج ـ وهو لا يكاد يصدق هذا ـ وطاب الى اديسون أن يسأل بيترسون فى استحضار روح صديقي روزفلت ويقوم بالترجمة بيني وبينه .

— لك ذلك

ثم اخذ ولسون يحرك اصابعه على الآلـه وهو يقول: لقد اوعزت الى بيترس ان يعلم هؤلاء الحروف الابجدية التي اصطلحنا عليها للتفهم مع الارواح حتى يستطيعوا أن يخاطبونا من غير واسطة ـ والروح التي طال عهدها فى عالم الارواح اقدر على التأثير . هه ـ هو ذا بيترسون قد دعا روزفلت :

— قال روزفلت : مرحباً ليمان ـ انا اشكر اديسون الذي اخترع آلة التفهم بيننا وبين االذين لا يزالون على هذه الارض

— فقال ليمان .. كيف اثق ان روزفلت يخاطبني .

- اوه بيننا سر قديم لا يعرفه احد . هل تذكر المقالة التي كتبتها انا

— فى أي موضوع ؟

— موضوع الامبراطور غليوم .

— كفى ـ كفى ـ صدقت وآمنت بروحك ايها الحبيب العزيز ـ اني اتوق الى السفر العاجل اليك ـ أأنت سعيد ؟

— انا من غير شك سعيد ـ ولكن لا تعجل نفسك فى المجيء ـ فان امريكا لا تزال بحاجة الى مثلك الى ان يظهر نوابغ آخرون .

— فتهلل ليمان واخذ يصيح قائلا . . . . تدي . . . تدي . . . مصغر اسم تيدور روزفلت

— أين تقيمون ؟

— الاقيانوس الاثيري الواسع يحوينا

— ولماذا انتم هنا — ومن معك ؟ ؟

— معي الوف من فحول السياسة — بعضهم تعرفهم وبعضهم قرأت عنهم ، الى جانبي — فرنكلن ووشنطون وغيرهما ـ وماحدانا الى الهبوط هنا الاما احسسناه من ان بعض الامم تتباحث في مسألة نزع السلاح فحدانا ذلك الى المجيء حتى نشهد الرواية الجديدة التي يمثلها قادة الامم ؟



في الارواح

ونفس الانسان قبل الولادة وبعد الموت

ليس من سبيل الى انكار ما للمذهب الروحاني من فائـدة ونفع — بعد الذي ظهر من انتشاره في العهد الاخير ـ وبعد أن آمن به واطمأن اليه عمد المذهب المادي وأعلام العلم الحديث وأقطاب المفكرين من أهل الغرب والعالم الجديد ـ أمثال اديسون ووليم جيمس والسر وليم كروكس والسر اولفر لودج وستيد وكونان دويل ولمبروزو الخ. وليس هـذا بالشيء الجديد ولـكنه قديم عرفه تاريخ أسلافنا من شعوب هذا العالم، أمثال المصريين القدماء ـ وكانت كهنتهم تزاول المذهب الروحاني عملياً وتشفي به بعض المرضى . واليونانيون وكانت هيا كلهم ملأى بالعرافات يناط بهن أمر استشارة الآلهة ونقل الوحي ـ آية ذلك ما نقرأ من ان هوميروس الشاعر النابغة الاشهر ـ قد وصف في شعره كيف استطاع عوليس الملك ان يخاطب روح تيز رياس العراف. وكذا الهنود وكانوا قديماً يعالجون هذه المسائل وآية ذلك ما كتبه (مانو) المشترع الهندي في أحد أسفار (الفيدا) ـ وهو أقدم الـكتب الدينية المعروفة ـ وهذا نصه : (ان أرواح الاسلاف ترافق بهيئة غير منظورة بعضاً من البراهمة وتتبعهم تحت شكل هوائي وتكون قريبة منهم عند ما يجلسون)

ولقد فصل الجهل بين الانسان وهذا المذهب ردحاً من الزمن ـ وطاف عليه طائف النسـيان حتى توثب بعض الذين اشرق عليهم نور الحق من علماء هـذا العصر لمعالجة ما في المذهب الروحاني من شؤون ومسائل لها كل الاهمية في حياة المخلوقات ومستقبل الانسان

ولا بدع فانما أهم ما يهتم به الانسان ان يكون سعيداً موفقاً مطمئناً على مستقبله ـ وان يعرف ويتفهم ـ من اين اتى واين هو والى اين هو ذاهب

أما السعادة فلا تعرف ولا يحسها المخلوق الا اذا عرف من اين والى اين ـ وأما الطمأنينة فلا تكون الا مع العقيدة ـ والعقيدة لا تكون الا بالعلم الروحاني وهنالك تعرف اهمية هـذا المذهب واتصاله بهذه النواحي ـ ناحية العقيدة وناحية ماضي المخلوق ومستقبله

ولعل أول ما عرفه العلم الحديث من حوادث الارواح تلك الحادثة التي وقعت في سنة ١٨٤٦ اذ سمعت لاول مرة طرقات متوالية في بيت رجل اسمه « فيكان » من قرية « هيدسفيل » من أعمال « نيويورك » ـ ففي احد الليالي اخذت «مدام فوكس» مرقدها مع ابنتها في غرفة واحدة ـ لعلها تتخلص من الاصوات المزعجة التي كانت تسمعها كل ليلة ـ اذ هي تسمع طرقات متوالية ـ فوقع بخاطر كاتي ابنة فوكس أن تصفق بيديها فقلدها الطارق ـ فقالت «مدام فكس» عد لنا عشرة ـ فعد عشر طرقات

س — كم عمر ابنتي كاتريا

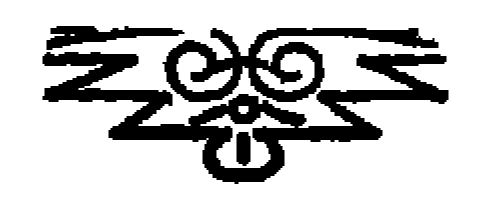
ج — اجابت الطرقات تماماً

س — هل انت انسان حى

ج — لم يجب

هذه اول محادثة تمت بين عالم الغيب وعالم الشهادة في عصرنا الحاضر ـ عرفها العلم ـ وفي سنة ١٨٩٢ . روى الاستاذ العلامة لمبروزو ـ وهو واضع حجر الزاوية في علم الاجتماع الجنائي ـ قال :

بعد أن أطفأت النور ـ تضاعفت الطرقات في داخل المائدة ـ ثم رأينا جرساً كان موضوعاً على المائدة الصغيرة ـ ارتفع في الهواء وطفق يدور حول رؤوسنا يقرع من نفسه ثم انحط على المائدة التي كنا حولها وانتقل من بعد ذلك الى سرير يبعد عن مكان الوسيط نحو ثلاث اذرع



٠٨٤

نشرت في المقطم بتاريخ ١٨ نوفبر سنة ١٩٢٨

المذهب الروحاني

او جمعيات المباحث النفسية

الحين بعد الحين — والفينة بعد الفينة نسمع بأن جمعيات المباحث النفسية قد وفقت الى ما يشفي العلة ، وينقع الغلة ، في مسألة عالم الارواح وانت تأنس اهتماماً عظيما من طبقات كل شعب وطوائف كل جيل من الناس على اختلاف نزعاتهم ، وتباين محلهم واستعدادهم ـ ولعل الباعث لهم في هذه السبيل وفي الاهتمام « بالمذهب الروحاني » ومعالجة مسائله نظرياً او عملياً ـ لعل السبب في ذلك اهمية الموضوع واتصاله بالدين ـ وسلطانه سلطانه ونفوذه نفوذه ـ وبالعقيدة وهي الرابط القوي في الانسان ، بمستقبل المخلوق وصيرورته ـ هنالك اذا اطمأن المخلوق على هذه المسائل وحل الغازها حلامقبولا معقولا ـ توفرت له السعادة ودخل جنة الخلد آمناً مطمئناً

ولقد يتعصب المتعصبون ويجحد الجاحدون ويتبرم المتبرمون ، ولكن هذا كله ليس يغني عن الحق فتيلا . حسب المذهب الرحاني فخراً ان يندمج في عداد رجاله الباحثين وافذاذه المؤمنين اقطاب المادية وعمد الدهرية . وفحول العلم الحديث امثال سير وليم كروكس وسير اوليفرلودج رئيس المجمع العلمي البريطاني واديسون شيخ المخترعين ووليم جيمس وكونان دويل وغيرهم

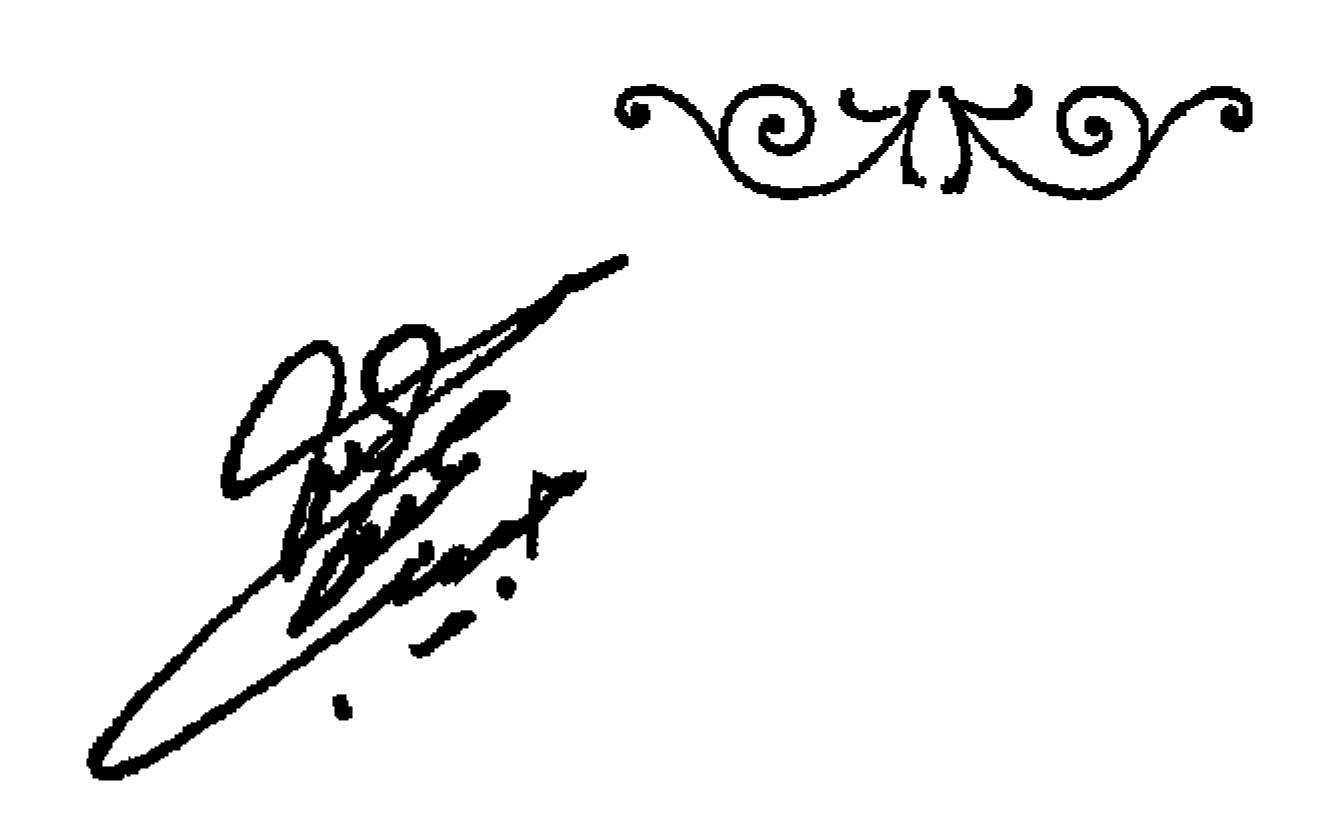
ولقد بلغ من اهتمام الغربيين بهذا الموضوع ان انشأوا جمعيات في كل عاصمة من عواصم اوروبا وامريكا اطلقوا على كل منها اسم «جمعية المباحث النفسية» ينحصر عملها في البحث العلمي العملي في ظواهر الارواح وما بعد الطبيعة وغير ذلك مما لا تقوى على هضمه معد الماديين ـ مثل ـ العقل الباطن ـ السبرتزم والاكتوبلازم ـ التلتني والتخاطب العقلي ـ قراءة الافكار ـ التنويم والاسهواء ـ الشفاء بالايمان ـ الانباء بالمستقبل ـ تعدد الشخصية ـ المتكلم من بطنه ـ السحر والشعبذة ـ صدق الرؤيا ـ مناجاة الارواح الخ

وللجمعيات المباحث النفسية انباء مدهشة في هذا الموضوع تدون اكثرها في تقارير سنوية قل ان نسمع بها ـ وهي غاية في الاهمية لاتصالها بالحياة الباقية ومستقبل المخلوقات ولقد وفق اديسون الى اختراع آلة تثبت بالحس وجود العالم الروحاني ـ بيد انه منع

من استعمالها حتى لا يختل نظام الكون بمعرفة كل انسان ما يضمره له المستقبل

والغريب اني قرأت اخيراً رأيين متفقين في مسألة الارواح اما الاول فلاديسون واما الآخر فللدكتور صروف وكلاهما بعد كل ما رأياه وعالجاه لا يجزمان بنفي او اثبات — على اني وان كنت اخالف دكتور صروف في بعض ما جاء بكتابه الجديد «رسائل الارواح» الا اني ارى انه الم بالمسائل التي ذكرتها وغيرها من المذهب الروحاني الماماً تاماً كاملا نافعاً مفيداً . وان اعجب لشيء فعجبي لاتفاق رأي اديسون مع دكتور صروف في هذا الموضوع وقد عالجاه عملياً وشاهدا فيه ما شاهدا

الا ان امد المدرسة المادية قد صار الى زوال ، ونجمها الى افول ، الا ان المذهب الروحاني هو مدرسة المستقبل



نشرت في جريدة الاهرام بتاريخ نوفمبر سنة ١٩٢٨

المذهب الروحاني

مدرسة القرن العشرين

مجلة المقتطف مدرسة جامعة يتتلمذ عليها كثيرون من المفكرين وينتفع بها أكثر قراء العربية انتفاع أهل الغرب بما لديهم من أمهات المجلات — ولعل هذا ما حداني ان أعجل لموضوع المذهب الروحاني بعد أن قرأت ما نشرته مجلة المقتطف من المساجلة التي دارت بين السر ارثر كونن دويل والمستر مكايب وبما أسلفت نشره في ما مضى من السنين وفي العهد الاخير للسر أوليفر لودج وغيره من فحول العلم وعمد الفلسفة في هذا العصر — وبما عنَّ لها هي ان تعقب به على كل هذه الآراء المتضاربة المختلفة الاشكال والالوان

وما نبغي الاسهاب في موضوع نحن نميل كثيراً الى الاعتقاد بانه سيكون مدرسة القرن العشرين وإنما نحن نريد أن نلمع إلماعاً بما وفقنا اليه في هذا الباب وعسى أن يهيء لنا القدر موقفاً آخر نستطرد البحث فيه تنظهر القراء على أسباب الخلاف القائم بين أنصار المادية واشياع الروحانية . هنالك تطمئن نفوسنا وتستريح ضمائرنا وهنالك نكون قد أدينا ما نحسه من واجب وما نشعر به من حق

نقول : لقد نضجت المادية في القرن التاسع عشر وقويت مدرستها واتسع نطاق نفوذها فهيمنت على المشاعر والمعتقدات وملكت على الناس مفاوز حساسيتهم وتولت طرائق تفكيرهم فحالت بينهم وبين كل ما دونها بما كان من هيمنة وسلطان على الماهية الادراكية من جهة والقوة الوحدانية من جهة أخرى . على حين انا نرى أن هؤلاء قد عاشوا في جلودهم أكثر من عيشتهم بوجدانهم وتفكيراتهم . وعلى أن « ما بعد الطبيعة » لم يعدم من بين المفكرين وأهل العلم من كان يؤمن به ويؤبه لهُ في كل مكان وفي كل زمان وان اختلف ذلك باختلاف العصور والادوار التي مرَّ بها التاريخ

ولقد يخيل الينا أن ظل المدرسة المادية قد أخذ يتزاول وبدأ يروغ وأن مدرسة المذهب الروحاني تقوى كل يوم وتشتد بمن يدخلونها أفواجاً أفواجاً من

وقت وبعد حين — من أقطاب المدرسة المادية وفحول العلم وعمد التفكير من المعاصرين المشهورين — أولئك الذين لا ينطقون عن الهوى . ولقد يخيل الينا أن السبب في انتشار المذهب الروحاني في بعض بلاد العالم دون البعض الآخر وعلة رواجه في الشرق هو أنه لا يتعارض مع الأديان ولأنهُ يصادف هوى في نفوس المتدينين بما يدخلهُ عليهم من الانتعاش والعزاء وبما يقوي فيهم من الايمان بالعالم الدائم . وما أتعس هذه الحياة التي هي أشبه الاشياء بمقدمة طويلة عريضة لا نتيجة لها — اذا كانت حياتنا تنتهي عند تمثيلنا هذا الدور المحزن المحوط بكل أنواع الشقاء وتختم بالموت الذي ما بعدهُ حياة فتسدل الستارة على مقدمة من غير نتيجة

ولقد سمعت بعضهم يقول : دعني أعيش مع الوهم وأمتع بما يصورهُ لي خيالي من النعيم المقيم جنة الفردوس أدخلها وأعيش فيها أبد الآبدين — دعني في خيالي أكفكف به ألم هذه الحياة وأرفه عن نفسي وطأة هذه الحياة الدنيا وأسرّي عنها ما يصيبها من الشقاء والبأساء — فاذا كنت مخرفاً ولم يكن لهذا كلهِ من وجود في مخي فاني اذاً لم أخسر شيئاً ولكني مع هذا أكون قد هونت على نفسي مصائب نصادفها وخففت عنها مصاعب تعترضها في سبيل تدرجها . على أننا لا نجري مع هؤلاء حتى في شوطهم هذا وانما نحن نريد أن تندمج في حسّنا ونعمل على الوصول الى الحقيقة النسبية من طريق الرقي الوجداني بتهذيب النفس وترقية الوجدان وتقوية الماهية الادراكية

نقول واذا كان العقل المجرد لا يمكن أن يسلم به أصحاب المذهب المادي دعواهم في ذلك أنهُ لا عقل من غير مادة وأن المادة الحسية الظاهرة هي التي تعرف بها أعمال العقل والروح والنفس وأشباه ذلك . فانا نؤمن أن احتياج العقل الى النفس أو المادة ضروري لنا لاننا نعيش مندمجين فيها منكرين كل ما عداها - والاندماج هذا يوجه كل قوانا الى المادة فلا نرى الا بها ولا نفهم الا من طريقها . وما نريد ان نستدل بأهل الكشف واصحاب مذهب التصوف والواصلين من المتوجهين اولئك الذين يرون بعيونهم سكان بعض العوالم الاخرى ويشاهدون حقائق لا تقوى ابصارنا المادية الصرفة على مواجهتها ولا تستطيع بصائرنا الحاسية على الاحاطة بها لما يقف قبالها من ستائر الطبيعة ومغاليق هذا الوجود . ولكن ما نذهب اليه وما نريده من المفكرين — أن يتمشوا معنا في طريق العقل ويعللوا الظواهر البينة التي تظهر في العالم والتي ينحصر عمل العقل في تعليلها وادراك كنهها واستكشاف بواعثها ومسبباتها

يريدون ان تصبح مسألة الارواح مسألة آلية صرفة ويريدون تمليلها بعقول منفعلة مستفادة وهم يعلمون حق العلم ان الاثير هو الوساطة الوحيدة التي توصل بين اطراف العوالم جميعها والذي يرجع اليه وجود التماسك والانسجام والمغناطيسية والنور والكهربائية والجاذبية ايضاً على رأي اينشتين — يعلمون ان الاثير هذا يقف العلم امامه مكتوف اليدين وهو الذي لا بد من دراسته دراسة تامة لمن يريد ان يدرس العوالم الروحانية الاخرى ولانه لا بد لنا ان نعبر هذا البوغاز لنصل الى المحجوب الذي كثرت في وجوده الشكوك والريب

يلوح لنا ان العلم لا يزال يحبو في مهده والعقل الذي بهره ماوصل الى استكشافه — من تسخير الهواء والماء والكهربائية والانتفاع بقوى الطبيعة — يلوح لنا انه لا يزال يتخبط في دياجير الدجى الحالكة ومعميات الوجود فكلما وفق الى ظاهرة انسها حقيقة وقف منتعشاً متباهياً شامخاً — ولكنه لا يلبث هنيهة ان يرتطم في صخرة تضيع عليه جهوده وتنبهه الى غروره وتوقفه عند حده

يقول الفيلسوف الانكليزي المعروف هربرت سبنسر ان العمل الانساني لم يصل الى كشف اسرار الطبيعة وانا ما وصلنا الا الى ادراك وتعليل الكليات واما الجزئيات فلا يزال سرها غامضاً . قول حق واعتراف صريح ولكن العقول العاتية الجبارة ترغب في المزيد ولا تقنع الا بالموجود المحسوس ثم هي من بعد ذلك لا يرضيها كل تعليل ولا تقبل ما يجيئها عن طريق السماع او التواتر

الشك اول خطوة يخطوها المخلوق صوب اليقين ولا يكون اليقين يقيناً حقاً قائماً على دعامات قويمة متينة الا بعد الشك . والتفكير والتأمل الطويل والبحث والاستقراء كلها شؤون اباحتها الاديان بل اوصت بها — هذا هو الكتاب المقدس يقول (فتشوا الكتب لانكم تعتقدون ان لكم فيها حياة ابدية) . وهذا هو القرآن الكريم يقول : (وفي انفسكم افلا تبصرون ؟) . لذلك نحن لا نستهجن من غير المؤمنين بالعالم الروحاني طرائق ابحاثهم وامتحاناتهم بتحقيقاتهم ولا نريدهم ان يميلوا معنا من غير بحث ولا اقناع وانما نحن نكر عليهم حججهم التي يتمسكون بها حيال هدم هذا المذهب وكلها قائمة على انهم امتحنوا اناساً يدعي الانتماء الى الروحانية فما انسوا الا مهاترة وتلاعباً وشعوذة . وليس هذا يقوم دليلاً صحيحاً عند العقل والفرق كبير بين المذهب والمتمذهب به . وليس من الصواب في قليل ولا كثير ان ارمي مذهباً بالعطل واتهمه بالبطلان

لمجرد وجود بعض الناس ممن يدعون زوراً انتماءهم لهُ ولمجرد ان يخفقوا امامي في عمل يقومون بهِ . والمذهب شيءٌ والمدعي الانتماء اليـهِ شيءٌ آخر فكم من متدين اساء الى دينهِ بادعائهِ انهُ من مظاهر هذاالدين وكم من مواطن اساء الى وطنهِ لتصرف يبدو منهُ فيحكم الحاضر على الواطنين جميعاً على هذه الشاكلة . والمذهب الروحاني مدخول بكثير من اللاعبين والادعياء الذين يعيشون بالشعوذة والتحضير وجلب المحبة. وما كان هذا ليؤثر في جوهرهِ لانهُ قائم بجوهرهِ يدل على وجودهِ بالامتحان والاستعداد

ان خطأً كبيراً ان يعتقد البعض بان كل انسان يجب ان تظهر لهُ الارواح عياناً بياناً في بهرة الشمس والناس يختلفون امزجة ويتباينون في استعدادهم وليس المائع الحيوي فيهم على نسب متساوية . وكذلك كانت الفروق بين انسان وانسان كثيرة متباينة فقد يرى الانسان مالا يراهُ الآخر لما فيهِ من الاستعداد الطبيعي وقد يكون غيرهُ بحاجة الى تفوق ومران ليصل ما يصل اليهِ غيرهُ فجأة ومن غير عناء ولا نصب . وخطأً كبير ان نتصور ان المزاج الواحد يكون بحالة واحدة ابدية دائمة دائبة وما كان امزاج حتى الانبياء سواسية في كل حين ـ لذلك لا يمكن ان نصيب مرمى الحقيقة اذا نحن حكمنا على الروحاني بمجرد جلسة واحدة فقد يختلف المزاج فيهِ وقد تختلف الروحية عندهُ فكان اولى لنا ان نتريث في الحكم ونجري على قاعدة (كانت) الفيلسوف في الامتحان وفي اصدار الاحكام

لقد قرأت بعض ما وفقت اليهِ جماعة المباحث النفسية في بلاد الانكليز وقرأت اعتراض المعترضين على مذهب الارواح فعلمت ان جوهر الاعتراضات ومحورها يدور حول نقطة واحدة هي اهم مايوجه نحو ظواهر الافعال الروحانية وأثر ما تظهر به ـ نعم تسائل الذين يحضرون الجلسات ويرون بأعينهم فعل الطاولة او التنويم اواستحضار الارواح فيجيبونك ان هذا انما ينشأ من انتقال الافكار وتوافق الشعور وان ما يقع من النائم او من فعل الطاولة انما هو من اخلاط الامزجة لاناس اجتمعوا في جماعة واحدة وخضعوا لتأثير واحد فأصبح الكل خاضعاً لمؤثر واحد وصار سهلاجداً ان ينتقل فكر الواحد الى الآخر بتيار عصبي او مائع حيوي يصل الامزجة بعضها ببعض ويكون وساطة لذلك

ولقد حضرت جلسات كثيرة من انواع مختلفة لهذه الشؤون انا ذاكر هنا نوعين لجلستين اثنتين تفندان هذا الزعم. حضرت جلسة تحريك الطاولة في دار احد اصدقائي

وقد صحبت معي احـد الافاضل وكان شغوناً جداً بهذهِ المسائل وطلبت اليهِ ان يحضر اسئلة يعرضها وقت الجلسة واشرت اليـهِ أن يصرف ديناراً قطعاً صغيرة من القروش ويتركهُ في مكان دارهِ حتى اذ حان وقت اتجاهنا الى مكان هـذه الجلسة كبش كبشة من هذه القروش دون ان يحيط بعدّها علماً وجعلها في جيبهِ ـ وفعلاً كان ذلك فلما ان اسال الطاولة كم معي من القروش وكنا جميعاً نجهل ذلك وهو ايضاً لا يعرف عدد ما في جيبهِ اجابت بالنمر عدها تماماً فاخرج ما في جيبهِ وعدّه فاذا بها صادقة وهو ما يفند دعوى انتقال الافكار

اما الحادثة الثانية فقد وقعت امامي في دار احد الوجهاء ـ (لا اذكر اسمهُ لانّي لم استأذنهُ في ذلك) وكان يستعمل الوساطة اليدوية وكنا نجتمع عندهُ كل ليلة ولقد برَّز ونجح كل نجاح في ذلك وادهشنا بامور سنذكرها بعد ان نستأذنهُ . ذلك ان كان معنا الاستاذ الجليل الشيخ طنطاوي جوهري ـ وقد القى على اليـد سؤالا فقال للحاضر وكان من اهل فرنسا أن كتاباً لهُ قرظتهُ احدى صحف باريس يريد أن يعرف اسم هذه الصحيفة ويريد ان يستجلبها فاجابتهُ الروح انهُ قرظ في صحيفة كذا وانهُ اذا ارسل الى فلان العالم الفرنسي العضو بالاكاديمية الفرنسوية فانهُ يبحث لهُ عنهُ ويبعث لهُ بهِ فاجابهُ الاستاذ ولكنني لا أعرف الرجل فكيف اخاطبهُ في ذلك. فاجابتهُ بالكتابة عن اسم الرجل الفرنسوي وعنوانهِ وعلاقتهِ بالباشا فاخذ يكتب الاسم بالضبط ونمرة المنزل واسم الشارع والوظيفة وكل ما قالت بهِ الروح وهرول في اليوم الثاني الى دار الباشا وسأله عما اذا كان يعرف انساناً من علماءِ فرنسا فاجابهُ بما انطبق تمام الانطباق مع ما في يدهِ

ان هذا لدليل ظاهر على هدم نظرية انتقال الافكار واتحاد الامزجة لاننا جميعاً ما كنا نعلم ولا كانت خواطرنا وضمائرنا تحوي شيئاً من هذا فمن اين اذن كل ذلك

لعلنا أطلنا الحديث على القارىء الكريم فنستميحهُ عذراً في ذلك على أن تكون لنا عودة في الحديث بما يكون اكثر وضوحاً ان شاء الله ولكل انسان وجهة هو موليها

من العالم غير المنظور

روح مسز سنيدر يتكلم

لا يخلو بلدمن بلاد العالم ـ من طائفة تهتم بالارواح وتبذل في هذه السبيل جهداً جهيداً ، ولا يخلو جو من الاجواء ـ من هواةهذا الموضوع ـ والصحف في بلادالغرب وفي العالم الجديد على الاخص ـ تعني عناية خاصة بمسائل الارواح وتسقط اخبارها من حين الى حين ـ لاهتمام القراء بالموضوع وشغفهم بأنباء الارواح ، وتهافتهم على كل اثر من آثارها .

ولقد نشط المذهب الروحاني في هذا العصر نشاطاً ظاهراً موفقاً، وكتب له القدر فى لوحه آية النجاح ـ فآمن به من آمن ـ واعتنقه من اعتنقه من اصحاب الرأي ، وذوي المكانة في حلبة الادب ، وميدان العلم والاختراع ـ فكان هذا دليلا لا ينقض على صحة المذهب ، وبرهاناً قوياً لا يزعزعه مزعزع ، ولا يؤثر فيه مؤثر ـ كان دليلا وكان برهاناً على ان (المذهب الروحاني) مدرسة المستقبل، وان المدرسة المادية لا يقوم اساسها الا على وعث من الحجج والبراهين ـ لا تلبث ان تنهار اذا سال عليها سيل الدليل

ولقد قرأنا فى صحيفة من الصحف الامريكية اخيراً ان المسز (سنيدر)الامريكية الجميلة ـ كان قد حكم عليها وعلى شريكها مستر (غراي) ـ بالاعدام ، وان هذا الحكم قد نفذ فيهما بالفعل ـ وان ثلة من العلماء الامريكيين الذين كرسوا حياتهم لهذه البحوث القيمة النافعة ـ قد عقدوا اجتماعاً علمياً ـ بعد ان نفذ حكم الاعدام في مسز (سنيدر) بأربع وعشرين ساعة لمخاطبة روحها وسؤ لها عن حالتها ـ فجاءوا بوسيط واستحضروا الروح عن طريقه ـ فقال الروح ـ روح (مسز سنيد)

ان ما ينتابني من الاسى والحزن والاسف ، في أواخر أيامي التي قضيتها على الأرض هو اني اتهمت (غراي) بما قذفته به من تهمة ـ لان تباعة الجريمة انما تقع عليّ انا لا عليه ـ ذلك لانه لم يفعل الا ما امرته به ـ فكان لي مطيعاً وكان منفذاً ، ولو اني كنت مخلصة لزوجي احبه كما يجب ـ لما وقعت الجريمة ـ التي ارتكبها ، وأنه

ليحزنني جد الحزن ان تعاني ابنتي في العالم ما تعاني من المصائب وان الناس سينظرون اليها بعين الاحتقار والدراية — على اعتبار انها ابنة مجرمة سفكت الدماء — .

واني لاضرع الى الله ان تغير اسمها الذي تحمله — وتنسى اني كنت لها اماً

انني اسعد حالا الآن عما كنت قبلا — وان ثقتي في الله قوية عظيمة من اجل ذلك انا اطمع فى رحمته واعتقد انه سيغفر لي عما وقع مني — لاني عند ما ارتكبت الجريمة كنت بلا شك مجنونة



خاتمة

وكما ان الرأي الشائع عند بعض العلماء ، ان كميه القوة المنتشرة في العالم لا تتغير، ولكنها تظهر في صور مختلفة ، فتراها تارة على شكل حرارة ،وتارة على شكل كهرباء، ومرة في شكل حركة،وأخرى في شكل تركيب او تحليل ـ فكذلك ايضاً شأن الامم، وحال ظهورها ودروسها ، فما من امة فتية محدثة قامت ـ الا على انقاض امة ادركتها الشيخوخة ، وتولاها الضعف ، وانتابتها النوائب ملاوة من الدهر ـ وليس من الحق ولا من الوجاهة في قليل ولا كثير ان نقيم حداً فاصلا بين القديم التالد ، والجديد المحدث ، او نتخيل ان حضارة أمة ، او ثقافة شعب من الشعوب ـ تقوم بمظهرها التجديدي من غير ما عتّ بسبب، أو تتصل بنسب الى عوامل القديم، او فواعل ذلك الزمن الغابر

الحق : ان كل جديد لا يقوم على اساس من القديم البائد غيرمهضوم،لا تستمرئه العقول ولا تسيغه الافهام ، ولا تقوى على تصوره العقول السليمة ، وكأي من امة فتية قامت على انقاض امة او امم وليتها يد القدر بالزوال ـ وكأي من حضارة خلابة جذابة، وثقافة نافعة ـ قامت على دعائم وأسس غيرها من سالف الحضارات ، وغابر الثقافات ؟

فالعقل البشري واحد ـ في مظاهره ، وفي تفكيره وفي منتجاته،وحقائق الاشياء ثابتة كما تقول فلاسفة العرب، وانما ناموس النمو والارتقاء ، او قانون التطور والتحول يدرك الاشياء جميعها ـ فتظهر في صور مختلفة وأشكال متباينة

وكما ان اعضاء الجسم وان كانت بينها مفارقة ومخالفة بين عضو وعضو ـ ووظيفة ووظيفة ـ الا أنها جميعها تعمل بالتعاون والمساعدة المتبادلة ـ على تحقيق غاية واحدة فكذلك ايضاً حال الامم والشعوب في العمل على تحقيق غايتها من الحياة القومية ، بالمساعدة والمعاضدة والمعاونة . تقوم كل امة بقسطها من العمل ، وحظها من الحياة ، وهي سائرة في طريقها بين حق تطلبه ، وتسعى لتحصل عليه ، وواجب تقوم بأدائه

وأنت يقع نظرك على امة مستضعفة ينكرها تاريخ العمل والتبريز ، فتحسبها غفلا من الروابط التي تربط مظاهر حياتها بثقافة او حضارة قديمة او محدثة وتظنها ـ عالة على غيرها ، وتزعم انها تتنفس بأنفاس غيرها ، وتعيش على حساب سواها ، وهي من

بعد ذلك ليست شيئاً مذكوراً ، على حين ان سنة التحول ، وقانون التطور ، وناموس النمو والارتقاء كلها ، أشياء لها قيمها ، ولها مكانتها ، ولها حظها في حياة الامم والافراد ، ومن ليس له حاضر فله ماض ، ومن ليس له ماض فله مستقبل ، الا ان من يقطع الصلة بين القديم والجديد ، كمن يقطع الصلة بين الوالد والمولود

الاختراع والابداع

يقول أرسطو ـ كل شيء في كل شيء ـ أي ان كل موجود فيه كل شيء ، وانما يظهر هذا الشيء بالظروف والمناسبات ، والاستعداد . ويقول شكسبير ـ لا جديد تحت الشمس ـ وظاهر من هـذا كله أن حياة الافراد والجماعات ان هي الا تكرار للماضي ، واعادة للسابق ، وان خطأ كبيراً إن يظن ظان في محدث او مظهر جديد ، ـ انه شيء اكثر من انه مظهر متجدد لـكائن سابق

ولقد استكمل الناسوت ، ونضج العقل ، وظهرت آثار العبقرية ، في بعض المخلوقات ، فكتب لهم القدر في لوحـه آية التوفيق ، ورفعوا من شأن الانسانية ، وخففوا من آلام الحياة في هذا العالم بما وفقوا اليه من استكشافات ، بيد اني أخالف الذين يسمون هذه مخترعات او مبتدعات ، فلم يكن اسحق نيوتن حين وفق الى قانون الجاذبية مبدعاً ولا مخترعاً ، لان الجاذبية ليست شيئاً معدوماً أوجده نيوتن وانما هي موجودة قبل ان يظهرنا عليها العلامة نيوتن ، كما انها موجودة بعد ان نادى بها ـ ولم يكن أديسون مخترعاً للـكهرباء ولا مبدعاً لشيء من الاشياء التي وفق اليها ، وانما هي قوى للطبيعة كانت مجهولة استكشفها النابغة اديسون ، وتمكن من تسخيرها لمنفعة المجموع ولا كانت النسبية معدومة قبل ظهور «أينشتين» وانما كان فيه من الاستعداد ، وتوفر له من الحظ والتوفيق ما أسعده على ظهوره في جو العلم بنظريته التي خلبت الالباب وحيرت العقول ، وأحدثت تغيراً محساً في الاجواء العلمية

هؤلاء ناس كان لهم حظ التوفيق في حياتهم التفكيرية العملية ، وفي استعداداتهم ومؤهلاتهم ـ الفطرية والمكتسبة ـ وفقوا الى هتك مساتير الطبيعة ، فكشفوا لنا بعض قواها ، وتمكنوا من بعد ذلك ـ من استخدام هذه القوى الطبيعية لمنفعة الانسان ، وتخفيف آلامه في الحياة ، فما خلقوا خلقاً ، ولا ابدعوا ابداعاً ، وانما هم وفقوا الى تعرف قوى الطبيعة وبعض ما فيها من اسرار فكان لهم حظ الذيوع والشهرة الواسعة . .

العقل والوجدان

ولو ان انسان هذا العصر عُني بترقية وجدانه ـ عنايته بترقية عقله — لكانت الحال غير الحال ، وإذن لوجد (السوبرمان) او المثل الاعلى للانسانية .

ولكنه عمد الى ترقية عقله المكتسب،وهو ضعيف لايقوى على احتمال ما فيهذا الكون من اسرار وعجائب، وأغفل شأن نفسه فلم يزكها ، ولا هو عني بوجدانه عنايته باستظهار المعقولات . فأصبح لا يعيش الا مع العقل ، والعقل ليس هو كل شيء في هذا الوجود ، والعقل كثير الخطأ . وأهمل مافيه من استعدادات ومقدرات ، فعاش مع الوهم ـ وتأخر تأخراً ادبياً بيناً .

من الذي يعالج البائمة اذا مرض أحدها ؟ انانعلم ان الحيوان اذا انتابه مرض — امتنع عن الاكل اولا ثم عمد الى نوع من الحشائش فأكلها وتم له الشفاء من غير حاجة الى علاج او طبيب ، . وانما يعيش الحيوان بغريزته فيعتمد على الهامها ، وهي ترشده الى مافيه المنفعة غالباً . ولنضرب لذلك ،مثلاً نزكي به هذه النظرية فنقول ان نهر (الامازون) في العالم الجديد (اميركا) له فيضانات فجائية ـ وهناك على شاطىء النهر يعيش بعض القبائل الرحل ـ واما تعرف هذه القبائل ساعة الفيضان ـ وانما دليلها في ذلك ، نوع من الطير يعيش في ذلك الجو ويحس بالفيضان قبل وقوعه بساعة او نصف ساعة فيرحل ويهجر البقاع ـ هنالك يسارع سكان ذلك الوادي من الرحل ـ الى الهجرة — حيث ينذرهم نذير الخطر .

ولولا هذا الطير ما استطاع اولئك الناس أن يعيشوا في ذلك الصقع، او لهلكوا جميعاً.

فهذا النوع من الالهام ـ في هذا النوع من الطير ـ كان فى الانسان ـ فذهب به العقل المتعمل ، وتلهى بشؤون الحياة عن هذه الظاهرة النافعة ـ ولو انه نماها وزكاها ، لانتفع بها وقواها .

الا ان الرقي من جهة العقل ليس هو كل شيء يطلبه الانسان في حياته الدنيا ، ولكن الرقي الصحيح ـ هو الرقي الوجدانى الذي يقتاد صاحبه الى الفضائل والكمالات . وانما قامت الديانات على الفضائل والكمالات ، وكمال الآداب .

قال الله تعالى وهو اصدق القائلين لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، (وانك لعلى خلق عظيم) (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)

وقال الرسول الكريم : ادّبني ربي فأحسن تأديبي . وقال أيضاً
انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

وقال السيد المسيح (عيسى عليه السلام) الله روح الذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا .

وما نحن بقادرين على ان نوفي الموضوع حقه من الاستزادة والبحث وليس يتسع المقام لذلك ، وانما سبيلنا هنا ان ندل على ان الغرض من وجودنا على هذه الارض — هو الرقي الادبي الخلقي ، والترفع عن الرذائل — استعداداً للحياة الصحيحة الراقية ، حياة السعادة الابدية والهناء الدائم ، فالعلم في تبديل وتغيير ، والعقل يخطىء ويشط ويشرد ، اما الكمال الخلقي فرقي صحيح وسعادة واتجاه الى الحقيقة .

انظر كيف قلبت نظرية اينيشتين العلم رأساً على عقب ، وانظر كيف بدل وغير ظهور (الراديوم) في جو العلم — أما الكمال الخلقي فثابت لا يعتوره التغير وانما هو صوب السعادة والحياة الحقة ابداً .

ليس في الامكان أبدع مما كان

لو اطلعنا على ما في عالم الغيب لاخترنا الواقع وعلمنا ان حكمة المولى فوق كل حكمة ، وأن العدل الالهي موجود ، وأن عقولنا التي نعتمد عليها في كل شيء ليست شيئاً مذكوراً الى جانب ما في هذا الوجود من اسرار وعجائب وانما نعقب على هذه الكلمة بما وقف سبنسر يناجي ويسائل نفسه به حيث كان يقول : « ما هي القوة التي يتحتم بقاؤها ؟ اهي تلك القوة التي تؤثر في عضلاتنا ، والتي تشعر بها حواسنا ؟ كلا — بل هي تلك القوة المطلقة المجهولة المستقرة وراء الصور والمشاهدات ، ونحن مع عدم امكاننا ان ندركها ، فاننا نتأكد من انها ابدية ، لم تتغير ولن تتغير — كل شيء زائل أما هي فباقية الى أبد الآبدين وهي علة العلل »

وليس من ينكر آثار المستكشفات الحديثة وأعمالها في حياة الافراد والجماعات ، ولا من يجحد فضل المادية على بني الانسان — بعد أن استطاع بهذه المستكشفات أن يسخر الماء والهواء — فجاب عباب الماء ، وحلق في الفضاء ، وانتفع بالكهرباء ، والآن جاء هذا للانسان السعد فتلقاه مصافحة وعناقاً — وسهلت لديه الحياة فأصبح

في العصر الحاضر يتنعم بنعماء المادة ويتمتع في رغد عيشها .

ليس من ينكر كل هذا ، ولكننا نكر على المادية ما جلبته من ضر وشر على الانسانية — الى جانب كل هذه المظاهر الخلابة ، وحسبك أن ترى ان المادة قد شغلت الناس عن الرقي الادبي والخلقي — وألهتهم عن الفضائل — فاعتنقوها وشغفوا بها حباً — وصاروا ماديين في كل مظهر من مظاهر حياتهم — لا يرون الا بأعين مادية،ولا يسمعون الا بآذان مادية، ولا يعملون الا بأيد مادية ، ولا يتحركون حركة واحدة الا للمادة ومن أجل المادة — ذلك بأنهم قد اندمجوا في المادة اندماجاً كلياً فأصبحوا ماديين في كل شيء ، وكان من أثر ذلك أن أقفرت قلوبهم من الرحمة ، ونضب معين الحياء فيهم ، وضجت الارض من ظلم الانسان لاخيه الانسان ، وهلعت الافئدة وعلملت النفوس ، وانعكست آية الهناءة والسعادة على الارض ، وفسد الامر كله ، ذلك لان تقدم العلوم والصنائع والاستكشافات الحديثة ، كل هذا لم ينتفع ، ولا تنعم به — الا العدد القليل من الاغنياء والمترفين — انظر وقابل بين حياة الموسرين والمعوزين — واحكم من بعد ذلك على مدى انتفاع الفقير من أثر هذا التقدم — ثم قابل بين هذا الرقي وأثره في حياة بني الانسان ، وبين الرقي الادبي لتعلم من بعد ذلك ان المادية قد عصفت ريحها بكل فضيلة وخير وبر — فتلاشت عاطفة الاخاء من قلوب الناس ، وزادت الشرور على الارض ، بعد أن نفثت المادية سمومها في الضمائر ، وحسبك أن تعرف ان الفوضوية والنهلستية من آثار التعاليم المادية الضارة .

وليس لذلك من سبب — الا ان الرقي المادي ليس هو كل شيء في حياة الانسان وسعادته ، ولا هو الغاية من الوجود على هذه الارض،وانما الرقي الادبي والخلقي — هو الغاية الغانية ، وهو السعادة الحقة — آية ذلك — ان الرقي من ناحية الذكاء أو العلم أو الفن أو أي شيء غير الخلق — لا يدرك الحياة من كل نواحيها ، ولا الطبقات في أية أمة بكل من فيها من كبير وصغير وغني وفقير ، وانما الرقي الخلقي هو المدار الحق في حياة الافراد والجماعات،وهو المثال الوسط الذي يشترك فيه كل عنصر من عناصر الامة .

أين الشاعرية الحية ؟ أين العقل الفياض ؟ أين الوجدان المتأجج ؟ أين الولاء ؟ أين الاخاء ؟ كلها أشياء لا وجود لها في العصر الحاضر — بفضل المذهب المادي

وطغيانه على موائل الاستعدادات،ومواطن الخير والنفع،وينابيع الرحمة في الانسان، واستيلائه على مشاعر الناس وملكاتهم .

ولئن كان الانسان الغابر قد ضل فكفرت طائفة من الخلق ؛ وتنكبت سبيل الهداية — بفضل هذا المذهب وذيوعه بين طبقات الناس ، فان كفر المحدثين أشد ، وتبجحهم قد فاق كل تبجح — لشدة تأثرهم بهذا المذهب وخنوعهم له ، وخضوعهم لمؤثراته الفعالة الاخاذة فتراهم يجادلون في الحق بغير علم — ويناقشون مسائله وهم يعيشون في ظلمة المادية مع الجهل — وكل ما على هذه الارض من عقول فعالة ، وعلوم محدثة نافعة ، وفلسفات ناضجة لا تنفع فتيلاً الى جانب رقي الوجدان، والخلق والاخذ بالفضائل والا كمالات.هم يريدون أن يعرفوا الحق بعقولهم المادية الضئيلة — وكيف يدرك العقل الحق وهو ليس كذلك ؟ الا انه — لا يعرف الحق الا الحق ، ولا يرى النور الا من كان في النور ، أما الذين يعيشون في الظلمة — فانهم في ضلالتهم يعمهون .

ولو شاء الانسان أن يصل إلى الحقيقة ، ويعرف هويته ، ومآله ، لاندج في حسه ، ودرس نفسه فعرفها ، ومن عرف نفسه فقد عرف كل شيء .

يقول الامام الغزالي — لولا ما في الانسان من صدق الرؤى، واستعداد للتنبؤ— لما كان يصدق بنبوة الانبياء وذوي الوحي. وأنت تعجب العجب كله اذ ترى ما يكون من صدق الرؤى،وتسمع أو توفق الى انسان لا يحلم حلماً الا وقع كما رآه في نومه — فما هي العلاقة بين عقل الانسان في نومه — وبين هذه الحالة المدهشة — حالة تحقق ما رآه النائم في نومه — الا ما في الانسان من أسرار واستعدادات نحن نجهلها كل الجهل ، ونحاول مع هذا أن نتغلغل في كل شيء ، ونتعرف كل مجهول ! الا انه لا حياة الا حياة الآخرة - ولا سعادة الا مع الفضائل وكمالات النفس — يقول راجا يوجا :

« ان الانسان بذرة تزرع هنا ـ ثم تنقل الى المكان المناسب لما استعدت له »

ويقول الفارابي :

« الناس في الآخرة أشبهم في الدنيا ، ورقيهم هناك كتحسين الخط »

ويقول الغزالي :

« الذي يقول ليس هناك آله ـ اعمى . والذي يقول إن هناك عبداً ورباً ـ

فهو اعور . والذي يقول ليس هناك الا الله وصفاته وافعاله ـ فهو المؤمن حقاً »
ليس هناك الا الله وشؤونه .

ويقول ديكارت :

« أنا أفكر فأنا اذن حي . ما أنا الا شيء مفكر . أعلم يقيناً اني افكر . ان الموجودات كلها شيئية موضوعية ، ولكن تفكري فيها اكثر شيئية موضوعية منها ـ فقد أشك في وجودها ـ ولكي لا أشك في أني أفكر . »

وانما سبيلنا في هذا أن نلمع الماعاً بما عنّ لنا وما وفقنا اليه من آراء بعض المتقدمين والمتأخرين من المبرزين في حلبة العلم وميدان الفلسفة ـ نعرض هذه الآراء أمام المفكرين من المحدثين ، ولكل وجهة هو موليها ـ والله الموفق وله الامر كله من قبل ومن بعد ـ يقبل من يشاء فتدركه رحمته ، ويخرج من يشاء من جنته وهو العزيز الحكيم .

يقول الشيرازي :

« لو كنت حاكماً لأدخلت العالم كله الجنة ، فكيف بالله ؟ . »

فلسفة راجايوجا

ملخص مذهب هندي عاش ٦٠٠٠ سنة

وهاك بعض ما في الكتاب :

(١) كيف تعيش عيشة راضية بالروح والجسد

(٢) كيف تعيش مئة وخمسين سنة ولا يشتعل رأسك شيباً

(٣) كيف تعيش مئات السنين في هناءة من العيش ورغد من الحياة

(٤) كيف تعيش مئات السنين من غير ان يعرف المرض اليك سبيلا

(٥) كيف تعيش مع الارواح والعالم غير المنظور

(٦) كيف تستطيع أن تعرف ما يقع من الحوادث في البلاد النائية

(٧) كيف تستطيع أن تقرأ افكار غيرك

(٨) كيف تستطيع أن تؤثر في غيرك وتأمره فيطيع صاغراً

(٩) كيف تستطيع أن تختفي عن انظار الغير وأنت بينهم

(١٠) كيف تستطيع أن تتصل بالعالم الآخر ويكشف عن بصيرتك

(١١) كيف تستطيع أن تتعلم وتتكلم كل لغة وكل علم من غير معلم

(١٢) كيف تستطيع أن تكون كل شيء وتستحيل الى ما تحب

كل هذا وأكثر منه يكون يسيراً لديك اذا تعلمت هذا المذهب وعالجت ما فيه من تمرينات رياضية وقواعد علمية

ثمن النسخة الواحدة ١٠ غروش عدا أجرة البريد